حكاية على حكاية

حكاية على حكاية (حكايات)

إعداد وتحرير: سالمة سالم المرهوبية (كاتبة عمانية)

الطبعة العربية الأولى 2022

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022

الآن ناشرون وموزعون

الجمعية العُمانية للكتاب والأدباء

الأردن، عمّان

alaan. publish@gmail. com

هاتف: 797162720، 65620722 (962+)

المدير العام: د. باسم الزعبي

سلطنة عُمان، مسقط

omani- writers@hotmail. com

هاتف: 96824346753+ / 96824346754+

لوحة الغلاف للفنان العُماني موسى عمر

تصميم الغلاف: بسام حمدان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مُصنفه ولا يعبّر هذا المصنّف عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

رقم الإيداع في سلطنة عُمان: (2021/4087)

ISBN: 978- 99969-863- 7- 6

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية الأردنية: (2021/12/6750)

حكاية على حكاية

تحرير:

سالمة سالم المرهوبية

حكايات

المقدمة

شغلَتْ الحكايةُ الإنسانَ منذ الأزل، فألهته عن همّه، وأنسته حزنَه، وعلّمته قيمًا مستفادةً سوف ينقلُها للأجيال التّالية، وينقل لها من خلالها خبراتِه وحكمته في الحياة. اعتنى الإنسان بالحكاية لأنّها جاءته أوّلًا في ثوب قدسي؛ لارتباطها بالكتب السماويّة، فزخرَتْ تلك الكتبُ بالحكاياتِ المرتبطةِ بخلقِ الإنسانِ ونشأتِه، وصراعِه مع نفسِه، وعدوه في حياتِه، وطاعتِه وعصيانه.

ومن شدة عنايته بها اهتمَّ بتدوينها وكتابتها وروايتها وحفظها ونقلها جيلًا بعد جيل، فدخل فيها من التغيير والتطوير الشيء الكثير، وصارت الحكاية مجالًا واسعًا للكتابة والزيادة والتأليف والخيال. فتناسلت الكتابات التي نقلت لنا تلك الحكايات العالمية منها والعربية على وجه التحديد من مثل: «ألف ليلة وليلة»، و«كليلة ودمنة»، و«المستطرف في كل فن مستظرف»، و«قصص العرب ونوادرها»، وغيرها الكثير.

كما أننا لا نغفل ما تناقله الخلف عن السلف في موروثهم الشعبي الشفهي من تلك الحكايات التي تقاطعت مع سابقاتها من حكايات عالمية وعربية، مما يدل على مدى الاتصال والتواصل بين الشعوب على اختلاف ألسنتها وأجناسها.

فجاءت مصادر الحكاية متنوعة وزاخرة، بما أتاح للحكايات المجال للتوسع والتمدد والبقاء محفوظة إما مروية شفاهة وإمّا مكتوبة، وهذا ما أسهم

في توليد فكرة إعادة إنتاج بعض من هذه الحكايات ونسجها وصياغتها في حلة لغوية جديدة تُحفَظ من خلالها الفكرة والقيمة التي نقلتها تلك الحكايات لنا، متسقةً مع لغة العصر الذي تُروى فيه.

وتواصلًا مع فكرة الكُتب الجمعيّة التي يتابُعها الأستاذ خميس قلم ويدعمها فرعُ الجمعيّة العُمانية للكتّاب والأدباء بالبريمي؛ تولّدت فكرةُ هذا الكتاب (حكاية على حكاية)، إذ يضمُّ بين دفتيهِ مزيجًا من نصوص مستمدّةٍ من حكاياتٍ منقولة شفهيًّا، أو مكتوبةٍ، سواء عربيّة مرجعُها القرآنُ أو الأمثالُ أو الرواياتُ والسّير، أو الحكاياتُ العالميّةُ ذاتُ الأمثولات الإنسانيّة، فجاء الكتاب ملوّنًا بالحكاياتِ والخيالِ والقدرة على الإبداع.

إنّ إنتاج مثل هذا الكتاب المشترك هو مواصلة لما بدأته الجمعية العُمانية للكتاب والأدباء من دعم لفئة الكتاب الشباب وإظهار إبداعهم وتشجعيهم والأخذ بيدهم، مواصلةً عملها الذي بدأ بكتاب «بشجريات» وليس ختامه الكتاب الذي بين يديك «حكاية على حكاية».

سالمة

الحكاية الأولى

قصر الملح [1]

سالمة المرهوبي [2]

«لا يمكن لقصة أن تحيا دون شخص يرغب في سماعها، القصص التي نحبها تعيش فينا إلى الأبد» (ج. ك. رولينغ).

بعد وفاة والدي بمدة طلبت من أمي أن تنتقل للإقامة معي في بيتي؛ كي لا تظلّ لوحدها في بيتها، حاولت إقناعها بشتى الطرق؛ لكنها أبت ورفضت كل اقتراحاتي. وأعلنت أنها لن تخرج من بيتها سوى للقبر.

حينها مازحتها قائلًا: «هل كلّ هذا حبّ ووفاء للمرحوم؟».

فردّت على تعليقي بقولها: «بل رغبة في الهدوء والسكينة بعد كلّ ذلك العناء والتعب. ولا أريد أن أكون ظالمة لزوجتك أو أجعلك ظالمًا لي أو لها، فتفسد حياتنا جميعًا ولا نستطيع لإصلاحها سبيلًا. وكأننا ندخل بأرجلنا قصرًا من ملح فيسقط علينا».

فاستفسرت منها عن الأمر، وماذا تقصد بقصر الملح؟

فقالت لي: «تلك قصّة طويلة وحكاية تولد من حكاية».

---

(1) حكاية مبنية على حكاية ابن مقرب.

(2) كاتبة عمانية.

فرجوتها والفضول ينهش عقلي: «وأنا مستعدٌّ لسماعها ومعرفتها مهما طال الوقت».

فقالت لي: «تعال لتسمعها في المساء؛ لأن وقت النهار لا يخلو من النساء الزائرات».

وافقتها وخرجت من عندها مشغول الفكر، أنسج حكايات وأحاديث عن قصر الملح وكيف يكون؟ وما خلف تلك القصة من معانٍ وأسرار تريد أمي أن تكشفها لي.

بحثت عن تفسير ومعنى قصر الملح في الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) فوجدت حكاية خمنت أنها التي سوف تسردها أمي وتنسج عليها سيرة حكايتها لهذه الليلة؛ فلقد كانت أمي حكّاءة عظيمة لا تقلّ مهارة عن «إستر» و«شهرزاد» وغيرهن. ولأنني كنت أصغر أبنائها؛ فلقد عودتني منذ طفولتي على أن تحكي لي حكاية حتى أتغلب على خوفي من الظلام ومن غضب والدي وصراخه، وتساعدني حكاياتها على النوم.

وهكذا نشأت خائفًا من أبي متجنبًا له، قريبًا من أمي متعلقًا بحكاياتها؛ فكان والدي وأخي حمد دائمًا ما يعيرانني بعبارة «ولد أمه» وهي عبارة تحمل غمزًا ولمزًا بالجبن والضعف، وحين كبرت وفهمت مغزى تعليقاتهم غضبت كثيرًا في البداية.

لكن أمي أسرّت إليَّ بحنانها الدائم وهدوئها وحكمتها بأن التعلق بالأم هو اعتراف لها بالفضل وتقدير لها وهو برٌّ بها وليس ضعفًا أو جبنًا، فالضعف والجبن هو ألا تستطيع الدفاع عن نفسك أو حماية من احتاج

إليك، بشرط ألا تظلم غيرك ولا تضر الآخرين. اقتنعت بقولها لأنني رأيت الكثير من الظلم الذي أوقعه والدي أو أخي حمد على الآخرين.

توجهت بعد صلاة العشاء لبيت أمي مباشرة متلهفًا للسماع، وأدركت جليًّا كيف أنني مهما كبرت في العمر، تظلّ حكايات أمي تسرق انتباهي وتخطف دهشتي وانبهاري! جلست قبالة أمي، فقالت لي: اسمع يا ولدي، الظلم عاقبته وخيمة على صاحبه، والظالم لا بدّ أن يدفع ثمن ظلمه عاجلًا أو آجلًا. وإليك الحكاية كما سمعتها، وقد أكون نسيت بعض تفاصيلها أو غفلت عنها؛ لكننا نأخذ منها العبرة والفائدة.

يحكى أنه كان في زمن مضى وانقضى شاب غنيٌّ وشجاع، من أسرة حاكمة للإمارة التي تسمى العيون بمنطقة الإحساء، عرف هذا الشاب بابن مقرب[1]. وكان صاحب مكانة ونفوذ في قومه لقربه من الأمير؛ لكن بسبب الوشايات والحسد تعرض ابن مقرب للظلم من الأمير وقومه، فحبسه الأمير وعذّبه وأخذ ماله وكلّ ما يملك.

وبعد مدة خرج ابن مقرب من الحبس، وهاجر إلى البصرة، وعاش هناك سنوات وعمل بالتجارة، وصار غنيًّا جدًّا أكثر مما كان عليه في السابق. فأراد العودة للوطن وأن يسترد حقه. ولما عاد وجد أن أبناء عمومته وأقاربه

(1) قصة ابن مقرب تم نقلها بتصرف من عدة روايات مختلفة من مواقع في الإنترنت، واختلفت هذه الروايات حول شخصية ابن مقرب ومكان قبره وغيرها من الأحداث في حياته.

لم يتغيروا؛ بل هم على عدائهم وظلمهم له، فقرر الانتقام منهم. وأحضر معه رجالًا لا يعرفهم قومه.

قرر أن يبني قصرًا منيفًا، وجعل أساسات القصر من قوالب الملح، وهي قوالب كبيرة متجمعة من الملح على شكل حجارة البناء. فقام بوضعها في الأساس وبنى باقي القصر بالطوب والطين المحروق والحجارة، مثله مثل أيّ بناء معروف في ذلك الوقت، ثم حفر حول القصر خندقًا، وبعدما تمّ بناء القصر، دعا أبناء عمومته وجميع أهل الأمارة لوليمة يقيمها في قصره، فقبلوا الدعوة.

في اليوم المحدد للوليمة أمر ابن مقرب بالذبائح أن تذبح والولائم أن تصنع والفرش أن تفرش في جميع أنحاء القصر. فاشتهر أمر الوليمة بين أهل تلك المنطقة؛ لضخامتها وكثرة الذبائح التي رأوها ذبحت في ذلك اليوم.

اتفق ابن مقرب في وقت محدد مع خادمه ورجاله أن يقوموا بتعبئة المراجل[1] التي تستخدم في القصر بالماء، وجعلها جاهزة لتفريغها في الخندق الذي يحيط بالقصر عندما يأمر بذلك. وحين قدم القوم ومن ضمنهم أبناء عمومته من الأمراء الذين ظلموه، استقبلهم ورحب بهم واستضافهم، وأمر لهم بالطعام والشراب.

(1) المراجل: جمع مرجل وهي آنية ضخمة دائرية الشكل كانت تصنع من المعدن وتستعمل لطبخ طعام الولائم والمناسبات الكبيرة.

وكان قد اتفق مع أحد رجاله الذين قدموا معه من البصرة، بأن يطلب نصيبه من الطعام دون أن يدخل القصر؛ ليخرج له ابن مقرب ويكرمه. وحين جاء الفارس البصراوي يطلب الضيافة دعاه ابن مقرب للدخول؛ ولكن الفارس رفض الدخول للقصر، وقال: أعطوني نصيبي في ترسي، وأنا على فرسي. فقال ابن مقرب: وليمة ابن مقرب ما تقصر على البصراوي. وخرج معه ليضيفه، وكانت تلك ساعة الصفر المتفق عليها لإفراغ الماء حول القصر. فأمر رجاله بتفريغ المياه في الخندق.

وحين امتلأ الخندق بالماء، وأحاط بجميع جوانب القصر، ذاب الملح وانهار القصر بأكمله على من بداخله، ولم يستطع أحد منهم النجاة. ولم يتمكن الناس الذين كانوا بالخارج من إنقاذهم أو مساعدتهم. وعرف من بقي من بني عمومته أنَّ ابن مقرب قد انتقم منهم وغدر بهم؛ فأضمروا له شرًّا وتبعوه لينتقموا منه.

خرج ابن مقرب من بلده على ناقته لا يلتفت خلفه، وحمل معه كل أمواله وابنته الوحيدة وخادمه المخلص، وأخذ يتنقل بين البلدان.

وبعد سفر طويل توجه إلى عُمان، وجدَّ في السير حتى وصل إلى مكان قريب من الساحل، وبه الكثير من المياه التي ظهرت على السطح تسمى الخور؛ لقربها من البحر. فاحتار ابن مقرب: هل يجتاز هذه المياه الضحلة أم ينتظر حتى يلحق به القوم، فيقتلوه هو ومن معه؟ فوكز ناقته؛ لكي تمشي فوق الماء ومضى قليلًا، ثم وقف وقال لابنته: ما رأيك نخوض الماء أم نتوقف؟ فقالت له: يا أبي بنت الخواضة تخوض. وكانت البنت تقصد

ناقتها التي تركبها فهي ابنة للناقة التي يركبها والدها. فما كان من الأب إلا أن أخذ سيفه واحتز رأس ابنته؛ لأنه فهم جملتها بطريقة خاطئة، إذ أساء الظن بابنته، بسبب زوجته التي تركته حين دخل السجن وتزوجت من أحد أبناء عمومته؛ فظن أن ابنته ستخونه وتجعل القوم يلحقون به، فقتلها ظلمًا.

بهت الخادم بما فعل سيده، ولامه على تسرعه، وأوضح له قصد البنت؛ لكن ابن مقرب لم يظهر ندمه وحزنه على ما فعل، وقال: لقد سبقت منيتها ووقع عليها ما يقع على غيرها، ثم قال لخادمه: فإن شئت أن ترجع أو تكمل معي؟ وردَّ الخادم على سيده بكلام من الشعر لا أحفظه ولكن معناه: بإمكانك أن تذهب بي إلى أي مكان فإن عيشي في هذه الصحاري المقفرة عندك ألذ لي وأهنأ من أن أعيش في البساتين أستمتع بالراحة والطعام.

مضى ابن مقرب وخادمه، حتى وصلا إلى بلدة في منطقة الباطنة من عُمان، وأناخا ركابهما، لما فيها من المراعي والخضرة، وأمر خادمه بأن يفك قيد الناقة حتى تأكل من المراعي؛ ليرى ردّة فعل أصحاب المنطقة، فلم يحركوا ساكنًا على الرغم من أن ناقة ابن مقرب وخادمه قد اخذت تأكل من مراعيهم. لم يرتح ابن مقرب للعيش بينهم والإقامة مع قوم لا يمنعون أحدًا عن أموالهم، فكيف لهم أن يحموا المستجير بهم من بطش عدوه؟

جدَّ في السير حتى وصل إلى بلدة تسمى «طيوي» بشرقية عُمان، ونزل بها وأمر خادمه بأن يفك قيد الناقة، وتركها تسرح، وعندما دخلت عير ابن مقرب وخادمه إلى المراعي، ثار الناس عليها وطردوها، وأحدثوا ضجة؛

لأن هذه العير غريبة، فاطمئن ابن مقرب للقوم، وعلم أنهم أهل بأس وقوة ومنعة. فطلب مقابلة شيخ البلدة، وطلب منه المنعة والجوار، فأجاره وأخبر ابن مقرب الشيخ بقصته كاملة وطريقة انتقامه وسعي أبناء عمومته للانتقام منه.

اشترط ابن مقرب على الشيخ أن يدفنه إذا مات في غور في اعلى جبل في البلدة؛ لأنه سمع من أصحاب القوافل أن قومه وبني عمه تحديدًا يجدّون في البحث عنه، وسوف يقتلونه أينما وجدوه، وسوف يدوسون بالخيل على قبره إذا كان ميتًا، إذلالًا له. وافق الشيخ على الشرط، وعاش ابن مقرب معهم، فأراد ذات يوم أن يختبرهم، وهل هم ملتزمون بما شارطهم عليه أم لا؟ فتظاهر بالموت، فغسلوه وذهبوا ليدفنوه في المقبرة، فقام لهم، وذهب للشيخ، وعاتبه على أنهم لم ينفذوا الشرط الذي اتفقوا عليه. فاعتذر الشيخ وطلب منه السماح؛ فعذره ابن مقرب على أن يوفوا بشرطه في المرة القادمة. مضت سنوات ثم مات ابن مقرب، وكان قد أوصاهم بأن يدفنوه في قمة أعلى جبل عندهم ولا يمكن الوصول إليه فيهدموا الدرج الذي سوف يوصلهم للجبل بعد دفنه فيه. فأخذه القوم ودفنوه في مغارة بأعلى الجبل، وردموا باب المغارة بالحجارة والطين، وهدموا ذلك الدرج الذي يوصلهم للجبل.

وبعد أيام من وفاته وصل أقاربه إلى المنطقة بعد أن أعياهم البحث وأنهكهم التعب. فطلبوا من الشيخ تسليم ابن مقرب لهم، فأخبرهم بأنه قد مات. فطلبوا منه أن يخبرهم بمكان دفنه ليدوسوا عليه بحوافر خيلهم كما

نذروا. فقال لهم الشيخ إنه في مغارة بأعلى ذلك الجبل. فاحتاروا في أمرهم وقرروا الصعود للجبل بخيلهم وكسر باب المغارة وإخراجه، فما استطاعوا لذلك سبيلًا، فذهبوا وهم يرددون: «لقد قتلنا ابن مقرب حيًّا وميتًا».

تنهدت أمي وقالت خاتمة كلامها: «وهذه هي قصة ابن مقرب كما أذكرها».

فقلت لها: «يا الله ما أعجب هذه الحكاية! وأنها لمن قصص الخيال، وقد قرأت أن أبأ العباس السفاح، وهو أول خليفة من خلفاء بني العباس انتقم من بني أمية وفتك بهم بنفس الطريقة. إذ بنى لهم قصرًا وجعل أسس ذلك القصر من الملح، حتى إذا اكتمل القصر دعاهم إليه. فلما اجتمعوا فيه سلط عليهم الماء، فأخذ جميع جهاته إلى أن ذاب الملح، وانهدم عليهم القصر، فهلكوا عن آخرهم. وهذه مشابهة لحكاية ابن مقرب».

ثم قلت لها: «ولكن يا أمي كيف يدخل الإنسان برجله قصر الملح كما قلتِ سابقًا؟».

قالت: «إذا ظلم غيره وعاد عليه ذلك الظلم بالشر والوبال. وأريد أن أجنبك شر الظلم الذي وقع فيه والدك ابن مطر الذي شهد بعينه جزاء ظلمه لغيره في حياته».

فهمت تلميحها وسر إكثارها لي من النصح والتوجيه فبادرتها متسائلًا: «وهل بنى والدي قصر ملح آخر؟».

فردت على كلامي بهدوء: «والدك لم يبنِ قصر ملح، لكنه ظلم وآذى أناسًا كثيرين؛ لأنه ظن بذلك أنه يثبت سيادته وسيطرته على الناس

الضعفاء؛ لكنَّ ظلمه ارتدَّ عليه، فكان مثل من بنى القصر للانتقام، لكنه دخل إليه برجله فانهدم عليه وقتله في النهاية».

تأبى أمي إلا أن أعترف لها بنصحها وإرشاداتها ويأبى فضولي إلا أن تكمل لي سرد الحكاية؛ فأتجاهل النصيحة، وأحثّها على أن تواصل السرد؛ لأتمكن من فكِّ طلاسم هذا اللغز الذي أكل عقلي، وأقول: «هل بإمكانك أن توضحي لي وتحكي القصة؟».

تعتدل أمي في جلستها وتأخذ رشفات من الماء وتمسح عن عينيها دمعة انحدرت وتقول: «والدك هو ابن مطر وليس ابن مقرب؛ كان يلذ له الاستشهاد بقصة ابن مقرب في عدة مواقف كدليل على أخذ الحق باليد والثأر والانتقام. على الرغم من أنه لم يكن إلا ظالمًا في كل مرة يظنّ نفسه أنه يأخذ حقه الذي ما كان إلا حق غيره، والله يرحمه ويغفر له ويتجاوز عن سيئاته. ولولا أنك مصرٌّ على معرفة القصة لما كشفتها لك، ولقد رأيتَ بنفسك الكثير من ظلم والدك سواء لأبنائه أو لغيرهم من الناس. لكن ما سأخبرك عنه لا تعرفه أنت لأنك إما أن تكون لم تولد بعد وإما أنك كنت صغيرا جدا ولا تتذكر شيئًا من ذلك».

فرددت عليها متنهدًا: «نعم شاهدت وشهدت الكثير من الظلم الذي سكت عنه، ولم أستطع رده أو الوقوف بوجهه؛ لأنني جبان وضعيف كما كان يقول لي دائمًا؛ لكنني رفضت مشاركته أو معاونته في أي عمل كنت أرى فيه ظلمًا لغيري. إلا أنني لم أعارضه ولم أقف بوجهه. فأرجوك يا أمي احكي لي ما تعرفينه ولا أعرفه، لعلّي أستطيع ردَّ بعض مظالم الناس

والتخفيف عنه بعد موته؛ فهو يبقى والدي ويؤلمني ما أسمعه من الناس أحيانًا عن ظلمه وأذاه».

قالت أمي: لم أعرف ابن مطر إلا بعد أن تزوجت منه، فلقد كان والدك ابن عم لجدي والد والدي، وكان يعطي قروضًا بالفائدة التي كانوا يسمونها في أيامهم «غلة المال»، وبعدما توفي جدي ترك ابنه صغيرًا، جاء ابن مطر وطالب أبي بسداد الدين الذي كان على والده مع غلة المال. رفض أبي دفع الغلة، فشكاه ابن مطر عند الوالي، فأجبره الوالي على دفع الدين أو رهن بيته لابن مطر إلى حين سداد الدين أو أن يدخل السجن. لجأ والدي إلى خاله؛ ليعينه ويساعده؛ لكن خاله لم يكن ليساعده في تلك الأيام العسيرة، فنصحه بأن يرهن بيته.

رهن أبي البيت مضطرًا لحين سداد الدين الذي كانت الفائدة تضاعفه وتزيده؛ فاضطر لأن يبيع نصف بيته لابن مطر.

كنت قد بلغت الرابعة عشرة من العمر، فطلبني ابن مطر للزواج، وكان قد جاوز الأربعين من عمره مقابل أن يتنازل عن باقي الدين الذي على والدي. وافق أبي وتمت الصفقة، وقد كانت تلك السنوات سنوات مجاعة وقحط، وليست سنوات رخاء وأمن كما تعيشون أنتم الآن؛ لذلك رأى أبي أن زواجي من الشيخ ابن مطر حياة لي بعيدًا عن الجوع والحاجة التي كانت في بيته.

إنَّ ابن مطر لم يكوّن ثروته من فوائد القروض فقط، بل اعتمد على الرشوة بالمال ليستولي على الأراضي التي كانت فضاء لا يملكها أحد،

ولكي يتمكن من أخذ الفوائد على القروض التي يعطيها للناس في تلك الفترة؛ فكان يرشو الفقراء ليشهدوا معه حين يحوز أرضًا ليست له بأن تلك الأرض تعود ملكيتها إليه. كما يرشو أصحاب السلطة والمتنفذين من الولاة وغيرهم؛ ليثبتوا ملكيته لتلك الأراضي.

أما أنا فلم أعرفه إلا بعد زواجي منه بسنوات طوال، حين علمت أن زوجته الأولى ماتت في ريعان شبابها غمًّا وهمًّا، بعدما حبسها في غرفة بلا طعام عقابًا لها؛ لأنها كانت تخزن بعضًا من مؤونة البيت التي كان يخرجها لها من المخزن الذي كان يضع فيه الطعام ويحتفظ بالمفتاح معه، فكان يخرج لها مقدار ما يكفي للغداء أو العشاء لذلك اليوم فقط.

كانت الزوجة تأخذ مقدار كفٍّ من التمر أو الدقيق أو الأرز أو الشعير الذي يخرجه لها ابن مطر وتحفظه بعيدًا عن الأعين؛ حتى إذا أتت مسكينة تسألها جادت لها بما جمعته. وعلم ابن مطر بالأمر حين رأى امرأة فقيرة تخرج من بيته حاملة صرة، خبأت بها ما حملته من عطاء نالته من زوجته، فاستجوب المسكينة ونهرها وطردها حتى لا تعود لبيته.

دخل ابن مطر على زوجته وضربها وحبسها ومنع عنها الطعام؛ لكن الخادمة التي تعمل في البيت كانت تحب سيدتها؛ لطيبة قلبها وحنانها عليها، فكانت تطعمها خفية. وذات يوم شاهد ابن مطر الخادمة وهي تطعم سيدتها؛ فوثب ليبطش بالخادمة فرفع خنجره لكي يقتلها؛ لكن زوجته ردّت الخنجر بيدها، فنزفت كثيرًا، وهربت الخادمة من أمامه رعبًا وخوفًا قبل أن ينالها خنجره. أما زوجته فلقد أصابتها حمى شديدة بعد تلك الضربة

ومرضت أياما عدة، ثم ماتت وتركت طفليها الصغيرين غنية وهي الأكبر وحمد.

قضيت عمري مع والدك صابرة طائعة، ولم أعارضه إلا في ذلك اليوم الذي حبس فيه حمد أخته غنية. كانت غنية تحب ابن عمها كثيرًا، إذ تمَّ تسميتها زوجة له منذ صغرها كعادة العائلات العُمانية سابقًا؛ لكنَّ ابن عمها توفي بحادث سيارة، فحزنت غنية حزنًا كبيرًا، وأصيبت بمرض نفسي شديد؛ لذلك تركت المدرسة بسبب المرض لعدّة سنوات، لكنها عادت لتكمل تعليمها بعدما شفيت؛ ولأنها كانت كبيرة فقد كانت تدرس مع طلبة محو الأمية.

وفي أيام الامتحانات النهائية تعرفت غنية إلى سائق الحافلة الذي أُعجب بجمالها، وكتب لها رسالة ودسّها في يدها حين همّت بالنزول من الحافلة، إذ كان يطلب منها أن تلتقيه في اليوم التالي. وتعمّد السائق أن يتأخر في إيصالها للبيت في اليوم المتفق عليه، وهكذا أسرّ لها بحبه ولا أعرف ما جرى بينهما، لكنَّ حمد رآها وهي تعود متأخرة عن الوقت في ذلك اليوم، وهي تنزل من الحافلة وحيدة، فشكّ بالأمر، وتوجّه لأخته فاستنطقها، وعرف بحبّ السائق لها وحديثه معها، فضربها وحبسها، وحين حاولتُ التدخل والتشفع لها؛ صرخ في وجهي غاضبًا: «لا تتدخلي فهي أختي، وليست ابنتك. ربَّي بناتك أحسن لك». وكلّمت والدك لينقذ ابنته، فقال لي: «دعيه يؤدب أخته، فابن مقرب قتل ابنته؛ لأنه شكّ في كلامها فقط». وفي تلك الأثناء سمع حمد كلام والده، فما كان منه إلا أن ضرب أخته حتى

وقعت على الأرض بقوة، فماتت من قوة الضربة. ولم يعلم أحد بسبب موتها، لأن شهادة الطبيب الشرعي أثبتت أنها تعثرت واصطدمت بالحائط وماتت نتيجة ذلك. أنت يا ولدي لا يمكنك أن تتذكر هذه القصة فلقد كان عمرك لا يتجاوز خمس سنوات.

وبعد تلك الحادثة أخرج ابن مطر ابنتيّ علياء وشيخة من المدرسة، وقام بتزويجهن صغيرات، ولم يسمع اعتراضي عليه، وهددني بالطلاق. وفي ذلك اليوم المرّ بالذات طرد والدك أخوك أحمد ابني البكر من منزله وتبرأ منه وهدده بالقتل؛ لأنه عارضه بعدما علم بموت غنية وهددهم بالإبلاغ عنهم، ورفض إخراج أختيه من المدرسة وتزويجهما، ولم أستطع أنا أن أرد عن ابني ظلما فلقد هددني والدك بالطلاق والطرد فخفت عليك؛ لأنك كنت صغيرًا، وكان أحمد يدرس في السنة الأخيرة من الثانوية العامة في تلك السنة؛ فخرج من البيت وسافر إلى العاصمة وسكن مع خاله (علي) وهو أخي من أمي ولا يأتي للبلد أبدا بسبب خلافه مع والدك. وعلمت بعد سنة من أحد النسوة اللاتي يعرفن زوجة أخي أن ولدي أحمد نجح في الثانوية بتفوق وحصل على منحة خارج البلاد، لكن والدك منعني من التواصل معه، وقطع عني كل أخباره. ولم أر وجه أحمد بعد ذلك قط ولم أعرف عنه شيئًا. ولا أعلم إن كان علم بوفاة والده وشوقي للقائه ورؤيته.

أما ابن مطر فلم يكتف بموت ابنته وتشريد ابنه أحمد، بل شجع ابنه حمد على غسل العار والانتقام من سائق الحافلة، فاتفق حمد مع أصدقائه للخروج إلى البر، واشترط عليهم دعوة ذلك الشخص، وهناك دبّر حمد

طريقة لتنقلب السيارة أثناء الصعود على الرمال بذلك الشخص، وكانوا يجرون سباقًا لمن يجيد الدوران بأقصى سرعة في الرمال، فركب حمد معه في السيارة ذاتها، ولكنه كان قد أتلف مكابحها فنزل حين أعدّ السيارة للدوران، وتركها للرجل، فانقلبت به السيارة وجرجرته على الرمل حتى مات.

وسمعت بنفسي يومها حمد يحكي لوالده تفاصيل الحادث متباهيًا بفعلته أمام والده، وكان هو يثني على عمله البطولي، ويقول له: «هذا مثل القصر الذي بناه ابن مقرب لأولاد عمه وأخذ بثأره». ولكن الله يمهل ولا يهمل؛ فلقد رأيت أنت كيف مات أخوك حمد بنفس الطريقة حين انقلبت به السيارة من على منحدر رملي وهو يصرخ كما سمعته أنت بنفسك ويردد: «سامحيني يا غنية». وكذلك رأيت بنفسك ما حدث لوالدك حين علم بوفاة ابنه الأحب إلى قلبه بتلك الطريقة البشعة؟ فأصيب بالشلل ووقع مريضًا حتى مات. وها أنت تعرف اليوم فقط سر ما حدث لهما، وكما يقول أجدادنا قديما «الحوبة تبطي بس ما تخطي».

سكتت أمي وبدأت تستغفر وتحوقل، والتفتت نحوي بنظرة ملؤها الدموع والوجع، فبادلتها بالدمع والبكاء، ووعدتها بأن أبحث عن عنوان أخي أحمد وأسعى لعودته ولقائه. قبلت رأسها ورجوت لها نومًا هانئًا وودعتها، وفي القلب جرح لا يندمل ووجع لا نهاية له وعجز عن التعبير.

الحكاية الثانية

أمنيات بريئة [1]

هدى النجار [2]

ليل سرمدي موحش، وهدوء يعم المكان إلا من صفير الريح الصرصر العاتية التي تعصف بالأرجاء كوحش كاسر يتصيد فريسته، والجميع في بيوتهم حول المدافئ ينشدون الدفء بهذا الجو العاصف، والبرد القارس. وهناك في الركن المهجور من المخيم، يظهر ضوء خافت من خيمة مهترئة، حيث يرقد نور الدين الطفل الصغير ذو الخامسة وبجواره والدته، فجأة ينتفض من فراشه، متجهًا نحو كنزه المخبأ في كهف صغير قرب خيمته، ويعود أدراجه مرتعد الأوصال من هذا الزمهرير، ويسرح بذكرياته لأجمل لحظات عمره، فقد أهداه والده هذا المصباح عندما كانا يتجولان في سوق الحميدية، يومها وقف نور الدين يتأمل المصباح الذي يشبه مصباح علاء الدين في القصة التي لا يكلّ ولا يملّ سماعها من والده كل ليلة قبل النوم.

عاد من ذكرياته، واحتضن مصباحه وراح يمسح عليه بلطف،

(1) حكاية مستلهمة من حكاية علاء الدين والمصباح السحري.

(2) كاتبة سورية.

والابتسامة تعلو محياه وكله رجاء أن يخرج المارد منه كما حصل مع علاء الدين، وكم دهش لهول ما رآه، تحقق حلمه، وأطل عليه المارد من مصباحه العجيب، لكن المارد كان أشد دهشة من نور الدين لإيقاظه من نومه العميق بعد هذه السنوات الطوال. اعتذر نور الدين بلباقة عن إيقاظه، فهو لم يقصد إزعاجه، لكن المارد أكد لنور الدين أنه ليس لديه ما يقدمه له، فأجابه نور الدين: «ألن تحقق لي الأمنيات الثلاث كما فعلت لعلاء الدين؟!». رد عليه المارد: «لكن علاء الدين كان طفلًا مشردًا»، فقال نور الدين: «ألا ترى هذه الخيمة البالية التي لا تقي من حرّ الصيف ولا من برد الشتاء؟ لن أطلب منك كما طلب علاء الدين قصورًا مشيدة، وجواهر ولآلئ، فأنا أصبحت مشردًا بعد أن دمرت الحرب اللعينة بيتنا، استشهد والدي ونحن نيام آمنون في منزلنا وقد تدمّر، وضاعت معه كل آمالي وأحلامي، خسرت والدي سندي، وسريري الدافئ»، وأجهش بالبكاء حسرة على ما فقد؛ فهدّأ المارد من روعه معتذّرًا بأن علاء الدين أجبره عمه على أخذ المصباح، وكان مغلوبًا على أمره، فتوسل نور الدين إلى المارد وردّ قائلًا: «وأنا أجبرت على الرحيل من بيتي المهدم ولم يعد لي معيل في هذه الدنيا سوى أمي المسكينة، وها أنا في خيمة من خيام اللاجئين، أعاني الويل والجوع والتشرد».

رقّ المارد لحال الطفل الصغير، وسأله مطلبه، ووعده بتحقيق ما يشاء من الأمنيات، فطار قلب الصبي فرحًا، وراح يفكر ويفكر، ويتلعثم بالكلام. «أريد حطبًا لا تنطفئ جذوته، وطعامًا لا ينضب، وفِراشًا وثيرًا»،

وخفت صوت الصبي شيئًا فشيئًا، وساد الصمت في أرجاء الخيمة، وأمه التي لم تنم ليلتها ساهرة إلى جواره تحاول جاهدةً تخفيض حرارته، وقلبها يعتصر ألمًا وهي تراه في هذيانه وهلوساته، وتسمع نداءه بصوته المرتجف: «أيها المارد... أيها المااارد».

أسقط في يدها، وباءت كل محاولاتها بالفشل، ورحل نور الدين.

الحكاية الثالثة

الأميرة والعقرب [1]

حسني النجار [2]

قال الحكواتي: يا سادة يا كرام.

كان في قديم الزمان، وسالف العصر والأوان، ملك هُمام، في مملكة بُصرى الشام. وكانت له بنت وحيدة تأسر الألباب بجمالها، وتأخذ مجامع القلوب بحسنها. وكان والدها الملك قد أحبها حبًّا شديدًا، وهيأ لها عيشًا رغيدًا، وعيَّن لحمايتها حارسًا صنديدًا، يحميها حتى من النسمة الطائرة، أو النظرة العابرة، ويُجيب لها مطلبها، قبل أن يرتدَّ إليها طرفها.

وذات يوم يا سادة يا كرام، اجتمعت بنات عمها في القصر، وكانت تُقاربهنّ في العُمر، تنهش قلوبهنّ الحيرة، وتلوك أكبادهنّ نار الغيرة، مما حظيتْ به هذه الأميرة الصغيرة، من نِعَمٍ وافرة، ومحبة غامرة، فقررن الإيقاع بها والتخلص منها، وفكرنَ في وقيعة لا تخطر ببال شيطان، ولا يجرؤ على فعلتها أنس ولا جانّ.

في هذه الأثناء جاء عرّاف إلى الملك الهُمام، ليفسر له حلمًا رآه في المنام،

(1) هذه الحكاية مستلهمة من الحكاية الشهيرة «سرير بنت الملك».

(2) كاتب سوري.

فأطرق العرّاف رأسه، وتلا تعويذته، ثم دنا من الملك هامسًا وقال: «أيها الملك، إذا بقيتَ على هذه الحالة، فستهلك ابنتك لا محالة، سيلدغها من فمها العقرب، وليس من ذلك مهرب، فتصرف قبل فوات الأوان، وقبل أن يقع ما ليس بالحسبان». وعلى الفور أمر الملك ببناء صرح شاهق، وكساه بالدّمَقس والنمارق، ورفع إليه ابنته حتى لا تقربها العقارب، ولا تدنو منها حتى العناكب، وصاروا يرفعون إليها الطعام بالحبال، ويُدنون إليها الماء بالدِّلال، ولم يدر الملك المسكين أن كيد الأقارب، أشد فتكًا من سمِّ العقارب.

وها هنّ بنات العمّ وقد حانت ساعة الصِّفر، يجمعنَ من الفاكهة كل حُمرٍ وخُضْرٍ وصُفر، يَنضِدنها في سلة من القصب، تُزينها جدائل اللجين والذهب، وفوقها تدلت عناقيد العنب، ثم دسسنَ في السلة عقربة سوداء، لا يُرجى من سمها بُرء ولا شفاء.

وهروَلن نحو الأميرة على عجل، لا يمنعهنّ من مأربهنّ خوف ولا وجل: «هذه هديتنا اللذيذة، لابنة عمنا العزيزة، كليها على الفور، حتى لا تشعري بالضَّور». وحين مدتْ الأميرة يدها، والتقفت قطفة العنب إلى فمها، باغتها العقرب، وكان إلى لسانها أقرب، واعتصر سمومه اللعينة، في حلق الأميرة المسكينة، وأسلمتْ الروح إلى بارئها، وهي تدعو على بنات عمها.

ولكن الله كان لهنّ بالمرصاد، فكشف أمرهنّ أمام العباد. فقد وجدوا خاتم إحداهن في السلة، سقط منها على حين غفلة، فاعترفت بذنبها مع بنات عمها، وعوقبن بالنار والحديد، وما ربك بظلام للعبيد.

الحكاية الرابعة

غافة الوفاء [1]

أحمد المقبالي [2]

قرية جميلة وهادئة، تلفّها أشجار النخيل من ثلاث جهات وكأنها أساور لم تكتمل، ثلاث شجرات من الغاف على مدخل البلدة، إحداهن كبيرة معمرة اتخذها السكان استراحة لهم. في المساء انطلق سعود منسلًا بين ممرات القرية الضيقة قاصدًا بيت عمه لرؤية ليلى ذات الأعوام الخمسة، وسعود كان في العاشرة من عمره؛ كأنهما عودان متصلان في غصن شجرة، نادى سعود: «تعالي يا ليلى». فتبعته إلى أن وصلا تحت شجرة الغاف حيث يلعبان دائمًا حتى مغيب الشمس.

ذات مساء بينما كان سعود وليلى يلعبان نادى والد ليلى سعودًا قائلًا: «هل قمت بتنظيف أنف ابنة عمك فهي تعاني من الزكام اليوم؟». قطف سعود أوراقًا من الغافة ومسح به أنف ليلى، فسال أنفها دمًا، ركضت تبكي إلى أبيها.

فلما رأى أبوها الدم غضب غضبًا شديدًا، وصرخ في وجه سعود: «لقد

(1) حكاية مستلهمة من الموروث الشعبي الشفهي العماني.

(2) كاتب عماني.

حرّمتُ عليك ليلى». كانت عادة أهل البلدة عندما يحرم الأب ابنته على شخص ما، يصبح أمرًا نافذًا ولو بعد مماته. مرت السنوات وكبر الصغيران إلا أنَّ والد ليلى توفي فجأة، فأصبحت ليلى يتيمة الوالدين، وانتقلت للعيش في بيت عمها والد سعود، فليس لها من يكفلها غيره بعد وفاة والديها. كان سعود يعشق ليلى منذ الطفولة، فأخبر والده بأنه يريد الزواج منها، صمت الأب محتارًا، فكل أهل القرية يعلمون تحريم أبيها زواجها من سعود، إلا أنه قال: «حسنًا سننظر في الأمر يا بني». ركب سعود جمله قاصدًا شراء جهاز العروس متوجهًا إلى مدينة تحتاج ثمانية أيام ذهابًا وإيابًا.

أثناء غياب سعود جاء رجل غريب إلى القرية وقت مغيب الشمس، حاملًا فوق جمله من الذهب الأحمر والأبيض ما تطيب له الأعين وتلذ به الأنفس باحثًا عن زوجة له، وسيكون مهرها الجمل بما حمل، ودلّه أحد سكان البلدة إلى بيت عمٍّ ليلى.

فلما وصل رحبَّ به عم ليلى وأخبر ليلى عن الرجل وذكرها بوصية أبيها، حزنت ليلى حزنًا شديدًا إلا أنها لم تستطع الرفض، فأمر أبيها واجب الاحترام.

أُقيم حفل زفاف سريع للعروسين، وفي الصباح ركبا الناقة، وذهب بها إلى بلدته التي لا يعرف أحد طريقه إليها. صاح عمها في أهل القرية قائلا: «حين يصل ابني أخبروه أن ليلى ماتت وذلك قبرها».

مضت الأيام وعاد سعود حاملًا ما لذ وطاب على جمله من جهاز

لعروسه وحلوى للضيوف، لكنه تفاجأ بأن البلدة كلها حزينة، وأخذ يستفسر عما حدث في غيابه، أخبره كل من صادفه بأن ابنة عمه توفيت وذلك قبرها والكل حزين لذلك. عاش سعود في صدمة وحزن عظيم، فقعد تحت الغافة التي كانا يلعبان تحتها باكيًا حزينا.

وذات يوم سمع ثلاث بنات صغيرات يرددن كلمات: «هيا نحكِ حكاية ليلى التي جاءها رجل من مغرب الشمس وأخذها عن ابن عمها وذهب». سمعهن سعود، فتقدم منهن عارضًا لهن قطعًا من الحلوى على أن يخبرنه بما حدث لابنة عمه.

قالت الصغيرات له: «ذلك القبر ليس قبرًا حقيقيًا لليلى»، وأخبرنه بالذي حدث لابنة عمه وحبيبته، فحرن حزنًا شديدًا وأنعزل في كوخ في طرف القرية.

أخذ الحزن ينهش قلب ليلى وهي تتذكر ابن عمها الذي ذهب ليجهز لعرسهما، وبعد مرور عام طلبت ليلى من زوجها زيارة عمها وقريتها، فلما وصلا إلى القرية تجمعت الفتيات حول ليلى وذهب أحدهم إلى سعود وأخبره بمجيء ليلى، فخرج من كوخه وقد نال الحزن من جسده وابيضّ شعر رأسه وضعف بصره، فعرفتهُ ليلى وتقدمت واحتضنتهُ في ذهول من زوجها قائلةً: «أهلا بابن عمي»، ثم مرت ليلى تسلم على بيوت أهل القرية بيتًا بيتا، وابن عمها لا يفارقها، يلازمها كظلّها ويتبعها كالمجنون خطوة خطوة، حتى ضاق زوجها بما يحدث فطلب منها المغادرة فورًا. تبعهما سعود إلى أن وصل شجرة الغاف الكبيرة عند

مدخل القرية، وهناك خارت قواه وظل ملازمًا تلك الشجرة، يأكل من لحائها وأوراقها مكفّرًا عن ذنبٍ اقترفهُ، وكان لحاء شجرة الغاف سببه. وظلّ سعود يهذي وينشد المواويل لابنة عمه حتى أشفقت عليه القرية والعابرون. وبعد أكثر من عام كاد الحزن والشوق أن يفتك بليلى وهي كاتمة تلك الأحزان والأشواق في صدرها، فقررت زيارة قريتها إلا أن زوجها رفض، فأخبرتهُ بأن هذه الزيارة ستكون الأخيرة.

كان سعود قد اتخذ شجرة الغاف سكنًا له، فبنى بيتًا خشبيًّا فوقها متجهًا إلى مغرب الشمس حيث ذهبت ليلى وزوجها، ويومًا ما سمع فجأةً رغاء جملٍ متوجهٍ نحوهُ، شمّ رائحة ليلى. نزل مسرعًا فإذا بليلى تقفز من فوق الجمل في ذهول فقالت: «منذ متى وأنت هنا؟». قال سعود: «منذ أن رحلتِ وتركتني هنا نادمًا على مسح أنفك بلحاء هذه الشجرة»، احتضنتهُ واختلطت دموعهما، استندا إلى الغافة من شدة الإعياء والمرض. في الصباح وجدهما أهل القرية متيبسين على جذع الغافة. وقرر كبار رجال القرية أن يواريا جسديهما تحت الشجرة. وأطلقوا عليها «غافة الوفاء».

الحكاية الخامسة

خـــــود [1]

أحمد المقبالي

كانت الفتاتان تكبران معًا لا فرق بين عمريهما سوى سنة واحدة، أصيلة ذات الثلاثة عشر عامًا، ورواية ذات الاثني عشر عاما، وأماهما ترسمان الأحلام لابنتيهما الجميلتين في تلك المنطقة البدوية في طبعها وعادات أهلها.

سنة بعد سنة كبرت البنتان، وأصبحتا في سن الزواج، كانت الأختان تتماريان في ابنتيهما حين تلتقيان مساءً، وأصيلة ورواية تلعبان حولهما فتقولان بنبرة غيظ لبعضهما: «من هي الأجمل؟ ومن التي ستتزوج أولًا؟» وكل واحدة ترسم لابنتها حياتها الخاصة.

قالت والدة راية: «ابنتي أجمل من ابنتك يا أختي، وسيتزوجها رجل له شأن كبير!!». سكتت أم أصيلة هنيهة ثم قالت: «وهل تعتقدين بأن ابنتي ليست جميلة؟ إنها أجمل وسيتزوجها رجل من أفاضل الحي، والفاضل والأفضل حين يكون الرجل ذا خلق حميد ويحترم ويقدر الحياة الزوجية».

---

(1) حكاية منقولة شفهيا عن الموروث الشعبي العماني.

مـرت الأيـام فتقـدم لرايـة ابـن شـيخ الحـي ليخطبهـا وفرحـت الأم وركضت لكي تخبر أختها بـأن ابنتهـا قـد تمّـت خطبتهـا مـن ابـن الشيخ!! باركت لها أختها، وقالت: «وابنتي أصيلة أيضـا خطبهـا حامـد الحطـاب، ولـم أستطع إقناع زوجي بعدم تزويجه إياها، لقد وافق وأجبر ابنتي علـى الزواج به». كانت أم أصيلة حزينة جدا لأنها تريد لابنتها زوجًا أخـر إلا أن القـدر سـاق لهـا الحطّـاب قبـل غيـره، وقضـت العـادات في بلـدتهم بـأن لا يستشير الأب ابنته في اختيار الزوج، فهو من يختار لها زوجها، ولا تملـك البنت إلا الرضوخ للأمر.

بعد بضعة أشهر وبعد انتهاء صلاة الجمعة وجّه ابن الشيخ والحطـاب دعوة للجميع وقالا: «الأسبوع القادم حفل زفافنا والكـل مـدعو ولا نعـذر أحدًا». حدث العرس وفرح الجميع، فالنساء تغني تلـك الأغـاني النسـوية الشجية، بينما الرجال يغنون في الطرف الآخر من البيت ويحتفلون بتنـاول الوليمة التي أُعدّت خصيصًا لذلك اليوم.

وبعد مرور سـنة علـى زواجهمـا أنجبـت أصيلة زوجـة الحطـاب ولـدًا وكان الولد أصلع منذُ ولادته، لكنه قوي البنية فسمته أمه «حيدر». أما راية زوجة ابن الشيخ فلقد ولدت بنتًا جميلةً جدًّا، ولجمالها ولحسبها ونسـبها أطلق والدها عليها اسـم «خـود» ونـذرت أمهـا رايـة أن لا تزوجهـا إلا مـن رجل ذي مكانة عالية.

أما ابن أصيلة فلم يكن ينادى سوى ابن الحطاب الأصلع، وعندما كـبر ظل هذا اللقب يلازمه، كان يتأذى كثيرًا من أقرأنه الذكور، إلا أنه كان قويًّا

ضخم البنية لا يذهب للصيد إلا ويعود بغزال أو ظبي من صيده.

أُغرم ابن الحطاب بأجمل فتاة في بلدته وهي قريبته خود، وكانت هي تبادله المحبة، فعندما يذهب ابن الحطاب للصيد أو للتسوق في أحد الأسواق القريبة يأتي بالميرة والصيد لأم خود تقربًا منها، كان يحاول أن يلفت نظرها، وبأن عمل والده الحطاب، لا يمنعه من الزواج من ابنة ولد الشيخ فهو صديق لوالده.

وذات يوم أخبر حيدر والدته أصيلة برغبته في الزواج من خود ابنة بنت خالتها، وألحّ عليها لتذهب لتخطبها له وتأتي بموافقة أم خود قبل أن يذهب والده ليكلم والد خود ويخطبها له. شعرت أمه بالحرج، فهي تعلم بنذر راية أم خود، وتتذكر جيدا ما كان يدور بين والدتيهما هي وراية في الماضي، حتى إنهما ورثتا تلك الصفات أيضًا عنهما، إلا أنها قالت: «سأذهب غدًا لكي أخطبها لك يا ولدي»... وبالطبع تم رفض طلب ابن الحطاب.

مضت الأيام وأم خود ترفض تزويج ابن الحطاب وضيع المكانة لابنتها، وذات يوم قرر ابن الحطاب أن يخطف خود ويهربا معا من تلك البلدة إلى بلدة أخرى ليتمكنا من الزواج، فاتفق معها على يوم محدد للهروب، على أن يكون الوقت فجرًا، وأن تنتظره بجانب حظيرة الغنم خلف بيت والدها، وفي اليوم المحدد وجدها تنتظره وهي ترتجف خوفًا وقلقًا فحملها على ناقته وغادرا البلدة.

واجه ابن الحطاب صعوبة في اختيار مكان يؤويهما، فذهب إلى بلدة

بعيدة جدا لا يعلم فيها بقصتهما أحد، لكنه اكتشف أنه فقد ماله ولا يمكنه شراء حتى كسرة خبز لتسد جوعهما بعد هذا السفر الطويل، وقد نفد طعامهما وماؤهما وليس لهما مكان يأويان إليه. أوشك النهار أن ينقضي وبدأ ابن الحطاب يضرب رأسه الأصلع بيديه ويندب حظه ويقول: «ماذا فعلت بحبيبتك وابنة الشيخ يا ابن الحطاب الأصلع». هدأت خود من روعه وقالت له: «تمالك نفسك واهدأ قليلا وخذني للسوق وبعني هناك واشترط على من يشتريني أن يشتريك معي لنبقى معا».

وبعد عناء وتعب وافق حيدر وقرر أن يقوم بأصعب عمل في حياته، فدخل إلى سوق تلك البلدة وأخذ يصيح مناديًا: «من يشتري مني هذه المرأة؟»، لكن كل الناس الذين مروا به في السوق رفضوا قائلين: «لا نشتري بنات الأحرار»، وفجأة ظهر والي المدينة، فقال للفتى: «ما خطبك يا هذا، ولماذا تريد بيع هذه الفتاة؟».

فلما نظر الوالي إليها تعجب من جمالها، وقال: «أنا أشتريها منك كم ثمنها؟». قال: «لا أريد شيئًا سوى العمل معك سائسًا للأبل وخيول الإسطبل». وافق الوالي على هذا الشرط، وأخذ الفتاة والفتى إلى قصره.

مرّت الأيام وخود وحيدر يعيشان في هناء وراحة بال، حيث كان الفتى والفتاة يلتقيان كل يوم ويبثان لبعضهما بعضًا حديث الشوق والغرام. شكّ الوالي بأمرهما منذ البداية وجعل من خدمه من يراقبهما وينقل له كلامهما كلما التقيا، وبعد مرور أسبوع تقريبًا استدعى الوالي الشاب وقال له: «هلا أخبرتني بالحقيقة وعن سبب بيعك لتلك الفتاة الجميلة؟».

حكى الفتى للوالي كل شيء، وبكى بكاء مرًا وقبّل الأرض بين يدي الوالي وطلب عونه ومساندته له، فتلك الفتاة حبيبته ولقد هربا معا ليتزوجا، ولكنه فقد ماله في الطريق ولم يجد ما يطعمها ولم يعرف أين سوف يقيمان؟ فلم يكن من الفتاة إلا أن عرضت عليه تلك الخطة التي نفذها في السوق ليبقيا معا. تأثر الوالي لما عرفه من معاناة هذا الشاب، وبالتضحية والمجازفة التي قدمتها الفتاة.

وقرر الوالي تزويجه منها، فأعلن في الناس عن حفل الزواج الذي سوف يقام لهذين العاشقين، وصارت سيرتهما حديث البلد، وأقام لهما عرسًا جميلًا استمر ثلاثة أيام، وقد خصص لهما الوالي بيتًا، وأصدر قانونًا للزواج يحدد الشروط الواجب اتباعها في هذا الشأن حتى لا يُحرم عاشقان من بعضهما البعض.

الحكاية السادسة

مدرسة الصبر [1]

محمد الزعابي [2]

أشرقت الشمس فجر أحد الأيام فوجد سليمان بيته خاليا من المؤونة ولا يملك من المال إلا بضعة قروش لا تكفيه للطعام لمدة أسبوع، بعدما تعذر عليه الحصول على عمل بسبب المجاعة التي ضربت البلاد، فاشترى شوال ملح بقرش وشوال فحم بربع قرش وحمل صرته وأعد نفسه للسفر خارج البلاد لكسب الرزق.

وبعد عدة أيام ودّع سليمان زوجته الحُبلى، واحتضن طفله جابر الذي كان نحيف البنية من قلة الطعام وشدة الجوع، ترك لهما قرشين وشوالين من التمر وربع شوال من المؤونة من الأرز والدقيق وغادر قريته باتجاه الميناء.

اختار سليمان أن يتوجه إلى جزيرة زنجبار واكترى مكانا له في مركب النوخذة حمدان؛ عندما أبحر المركب اخذ يحدق في البيوت الطينية

(1) حكاية مستلهمة من حكاية المثل العربي «النصيحة بجمل».

(2) كاتب عماني.

الساحلية العتيقة وفي الفوانيس المعلقة خارج البيوت التي يشع فتيلها كل ليلة؛ ليهدي المراكب العائدة في الليل.

ظلّ الحزن يراود سليمان منذ أن وطئت رجلاه متن المركب لا يعلم هل سيرجع لأهل بيته وقريته أم سيكون فراقًا أبديًّا؟ انطلق المركب وأخذ النوخذة حمدان يأمر طاقم المركب بشد الحبال المتدلية أسفل الشراع، والتغني ببعض الأهازيج الشعبية التي تلائم أجواء رحلتهم البحرية إلى زنجبار.

كان الشوق يضطرم في قلب عائشة لهفة على غياب زوجها سليمان، ويزداد بها الشوق والحنين كل يوم أكثر ممّا قبله.

أما سليمان فكان يرسل لها مع المحمل الذي يرجع لمسقط كل عام ما تيسر له من المال الذي جمعه من عمله، وكانت عائشة عندما تتسلم الخط المكتوب والمال المرسل معه تأنس كثيرًا وتطمئن بأن سليمان بخير، وتشتري بالمال الذي يرسله سليمان نخيلا وأراضي. لكنها تركت بيتها على حاله دون تغيير أو تعديل حتى إذا عاد زوجها عرف بيته مباشرة.

وبعد عدة سنوات عاد سليمان إلى بلده بعد غربة طويلة وعمل شاق، وروحه مليئة بالشوق لأهل بيته، وحين نزل عن المركب، استأجر من الميناء راحلة وطفق يمشي على راحلته المحملة بالهدايا والنقود، ويمر بين تلك الحواري والأزقة مبتهجًا بعودته، وينظر إلى ما آلت إليه أحوال البلاد وما طرأ عليها من تغيير وتبديل.

وفي الطريق شعر بالتعب، فتوقف عند بيت عتيق بني من الطين، ويغطيه سقف من سعف النخيل أراد أن يستسقي منه ويأكل ما تيسر من الطعام، فترجل من على بعيره، وطرق الباب وبعد برهة خرج له شيخ مسن ذو لحية بيضاء، فسلم عليه وحياه الرجل ثم سأله: «هل عندك طعام؟».

فردّ عليه الرجل: «نعم، انتظر بعض الوقت»، فأومأ له بأن يجلس على المصطبة الخارجية حتى يأتي بالطعام والماء. تأخر الرجل وأحسَّ سليمان بالضجر، فسئم من الانتظار وغادر المكان، وفي طريقه التقى بالرجل مرة أخرى حاملًا الطعام في يده. قال الرجل متعجبًا عندما شاهد سليمان: «لماذا تركت المكان ولم تنتظر عودتي؟».

فقال سليمان بضيق وضجر: «غيرت رأيي وسأذهب الآن».

فقال له الرجل المسن: «يجب عليك ألا تكون عجولًا في أمرك، وقبل أن تحكم بشيء عليك بالتريث، مارس الصبر في كل حياتك وإلا سوف تخسر أشياء كثيرة، فقد يكون ثمنها غاليًا».

فقال له سليمان: «لم أطلب منك قصرًا فقط طلبت منك ما تيسر من الطعام، لماذا كل هذا التأخير؟».

فردَّ عليه الرجل بهدوء: «لتتذوق جرعة من الصبر، فبدونه لن نذوق طعم الحياة».

فرد سليمان على مضض: «سأعمل بنصيحتك والآن أعتذر منك؛ لأنني منهك من السفر».

فقال الرجل: «لا تستعجل دعني أكرمك، وغدًا تواصل طريقك إن شئت».

فرد سليمان: «شكرًا جزيلًا لك وزاد الله فضلك وأعتذر منك على ما بدر مني».

هز الرجل رأسه وقال: «كما تشاء ولكن في الأيام القادمة حاول أن تكون صبورًا أكثر».

رد سليمان موافقًا: «إن شاء الله».

وبعد مسير عدة أيام وصل سليمان إلى بيته في وقت متأخر من الليل. وفتح الباب الخشبي للبيت، ودلف إلى ساحة المنزل حتى دنا من المنامة فأبصر جابر نائمًا بجانب أمه وتعجب عندما رأى في الناحية الأخرى رجلًا نائمًا قرب عائشة فكتم أنفاسه غضًبا، دار بعينه في المكان، ودونما تردد استل خنجره من محزمه وهمَّ بأن يهوي بالخنجر على صدر زوجته التي تنام بجانب ذلك الرجل الغريب عنه؛ ارتجفت يد سليمان وهو في قمة الغضب والضيق واليأس والألم، ولكن شيئًا ما ردعه، لقد تذكر نصيحة الشيخ الحكيم.

وفي تلك الأثناء شعرت عائشة بحركة وصوت حولها، ونهضت من فراشها فارتعبت عندما شاهدته أمامها وخنجره بيده؛ فشهقت رعبا وصرخت وهي ترتجف هلعًا: «مممممن اااأنت؟».

فقال لها بغضب: «أنا زوجك سليمان يا....».

فردت ودموعها تخنق صوتها: «سليمان زوجي! ولماذا تريد قتلي بعد

هذا الفراق الطويل؟».

فعض سليمان على شفته السفلى من الغيظ ونطق وهو يزبد ويرغي من الغضب: «ومن هذا الذي أراه نائمًا بجانبك؟»

فقالت له: «هذا ابنك جابر، لقد كبر والحمد لله وصار رجلًا، وهذا الصغير ياسر أنجبته بعد رحيلك بشهور، ألم تعرف ولديك يا سليمان؟ أتريد أن تقتل نفسا بريئة بلا ذنب؟!».

فقال: «أنا آسف يا زوجتي لأنني استعجلت بالحكم عليك، ولن أنسى ذلك الرجل المسن لأن نصيحته أنقذت حياتكما وحياتي معا، وعليَّ أن أتريث دائمًا قبل أن أفعل أيَّ شيء، فالحمد لله الذي أعادني إلى رشدي ولم أستعجل بقراري».

الحكاية السابعة

جرة الوفاء [1]

محمد الزعابي

في يومٍ كانت حرارة الشمس فيه لاسعة تهوي أشعتها على العمال الثلاثة (زيد وعبيد وحميد) الذين كانوا يتصببون عرقًا، وجوههم ولباسهم ملطخة بالطين الذي يخلطونه مع القش (التبن القديم)، ويضعونه في قوالب مستطيلة؛ كي يصنعوا الطوب الصلب المتين الذي سوف يستخدم في بناء سور القلعة العظيم، الذي أمر الوالي بأن يستعجلوا في تشييده.

فكّر زيد وعبيد بأن يدبرا كذبة على الوالي كي يعاقب زميلهم حميد الذي يحسدانه على جمال امرأته، وحبها له؛ فهي ليست كباقي النساء تملأ جرة الماء من الفلج القريب ذي الطعم المالغ، وإنما تكلّف نفسها الذهاب لعين ماء بين جبال القرية؛ لتملأ جرتها بزلال الماء.

لم يستطيعا أن يتعرضا لها في وضح النهار؛ لذلك قاما بالوشاية على حميد، فأخبرا الوالي أنه متقاعس وكسول في عمله، فأمر الوالي بأن يعمل

(1) حكاية شفهية منقولة عن الموروث الشعبي العماني.

حميد ليلًا حتى الصباح جزاءً له على تقصيره.

سعد الصديقان الماكران بهذا القرار، وفكرا بفكرة قذرة. وحين أقبل الليل حمل كل واحدٍ منهما قنديلًا، وأخذا يمشيان في الطريق الحالك؛ حتى وصلا إلى بيت حميد المبني بالحجر والطين.

اقترب الاثنان من الباب وهما يتدافعان مترددين، وبعدها تمكنا من دخول المنزل، فقد تركت حسينة الباب دون مغلاق في انتظار عودة زوجها. دخل الاثنان بهدوء دون أن يصدرا صوتًا، وتعجبا عندما شاهدا زوجة حميد الجميلة وهي نائمة، وقد ظهر منها بعض مفاتنها دون أن تشعر، تصبب العرق من وجهيهما جراء ما شاهداه، وأحسّ زيد بالعطش، فصوّب نظره إلى الجرة المعلقة، فدنا منها وشرب حتى ارتوى، أما عبيد فظلَّ يرنو إلى ذاك الجمال لم يصرف النظر عنه.

فقال عبيد: «هيا ابدأ أنت وخذ نصيبك، سأكمم فمها بيدي، وسيكون دوري بعدما تنتهِي».

قال زيد: «لا.. وألف لا، قررت أن أنسحب. بعدما شربت من هذه الجرة لا أشعر بالرغبة في الأذى؛ يا له من ماء عذب لم أذق مثله قط».

قال عبيد بهمس: «ماذا دهاك يا زيد؟ لماذا غيرت رأيك؟».

رد زيد وهو يهم بالمغادرة: «لا شيء سوى أنني قررت أن أنسحب وأخرج عنك». فأخذ القنديل وغادر المكان.

اكفهر وجه عبيد من أسلوبه، وحدق فيه بمضض حتى انصرف، وبعد هُنَيهة شعر بالتعب والعطش، فاقترب من الجرة وشرب منها حتى نفد الماء كله، ثم غادر البيت مثلما فعل صديقه.

عندما أشرق الصباح رجع الزوج للبيت منهكًا من العمل، وأراد أن يشرب من الجرة، فتعجب عندما وجدها فارغة، أخذت الشكوك تلعب برأسه، وعندما استيقظت زوجته من نومها سألها بمضض: «لا يوجد ماء في الجرة. أين ذهب الماء كله؟».

فردت عليه وهي مذهولة مرتبكة: «لا أدري يا زوجي العزيز، فقد ملأتها بالأمس وجهزتها لك». كظم حميد غيظه وسكت وهو يفكر في الأمر بحيرة.

وفي الليلة التالية نسيت حسينة أن توصد الباب؛ فتكرر الأمر من زيد وعبيد، وحين عاد الزوج لبيته في الصباح وجد الجرة فارغة. فدنا من زوجته النائمة وأمسك بشعرها ثائرا غاضبا: «اعترفي من الذي يدخل البيت في غيابي؟».

فردت عليه وهي فزعة تسبقها دموعها: «والله أني مثلك لا أعلم، أين يذهب الماء في كل ليلة، أرجوك صدقني». فعض حميد على شفته السفلى وهو يكتم غيظه: «سأتولى الأمر بنفسي».

وفي الليلة الثالثة أحضر حميد دهانًا وسكبه أمام عتبة الباب، وأمر زوجته أن توصد الباب وألا تخرج من المنزل أبدًا حتى يعود.

وحين أتى زيد وعبيد وكانا قد اتفقا على ألا يفوتا هذه الليلة كباقي الليالي، وحين وصلا أمام الباب انزلق عبيد في الدهان، وتشبث زيد بحائط البيت، حتى لا يسقط، لكنه سقط مع صديقه، وقاما مفزوعين وهربا بسرعة قبل أن يحس بهما أو يراهما أحد.

وفي الصباح عاد حميد لمنزله وتتبع آثار الخطوات التي خلفها الدهان المتناثر على الأرض، وكشف أمر زيد وعبيد وغدرهما به، فأبلغ الوالي عنهما، فأمر الوالي بسجنهما جراء فعلتهما، وبأن يتولى مهمتهما شخصان آخران ليساعدا حميد في عمله الصباحي.

الحكاية الثامنة

مَن أحقّ بصحبتي؟ (1)

محمد الزعابي

قرر جعفر أن يشدّ الرحال للسفر، واحتارَ من يختار من أصدقائه الثلاثة؛ ليكون رفيقًا له في دربه. فتحدث مع أمه قائلًا: «سأسافر بعد أسبوع يا أمي، ولا أريد أن أفرّق بين أصدقائي الثلاثة، والدرب طويلة جدًّا، وبها مشقة ولم أجرب واحدًا من أصدقائي في أي رحلة سبقت. وأرجوك أن تدليني على وسيلة تعينني على اختيار واحد منهم، يكون نافعًا لي في السفر».

اقترحت الأم أن يستضيف كل يوم صديق معه على الغداء، في اليوم الأول دعا جعفر صديقه ناصر، استقبله جعفر فأقعدهُ في مجلس الضيافة، وجلسا يتحدثان حتى نادته أمه ليأخذ الطعام لضيفه.

تسلّم الإناء المصنوع من الفخار ممتلئًا بالأرز، وقد أخفت الأم بيضة داخل الأرز وقالت لولدها هامسة: «اذهب إلى صديقك وضع الطعام أمامه، وعد لي حتى آذن لك أن ترجع إليه ثانية».

(1) حكاية مستلهمة عن الموروث الشعبي العماني المسموع.

فهمس لأمه متسائلًا: «لماذا يا أمي كل هذا؟».

فقالت: «اذهب ولا تسأل ستعرف كل شيء عندما يحين موعد سفرك».

فتوجه إلى المجلس وأنزل السفرة وقال لصديقه: «خذ راحتك يا ناصر حتى أعود لك»، ثم خرج لأمه التي كانت تنتظره عند الباب فأمسكت بيده وقالت: «انتظر هنا حتى ينهي ضيفك طعامه ثم أدخل إليه، وأخبرني بكل شيء بعدما يغادر صديقك».

فرد الابن: «سمعا وطاعة يا أمي».

عاد جعفر إلى صديقه وجلس بجانبه وتعجب عندما حدق في الوعاء الفارغ.

فقال له باستياء: «هنيئًا لك الطعام، والمعذرة لأنني تأخرت عليك».

فرد ناصر وهو يتجشأ: «لا داعي للاعتذار فنحن أصدقاء».

فقال جعفر في نفسه: «ليتك انتظرتني حتى عدت، ولكن الحمد لله على أنني أتممت واجب الضيافة». غادر الضيف ورجع جعفر إلى أمه، وأخبرها عما صنعه صاحبه، فقالت: «أحضر غدًا صديقك الآخر».

وفي اليوم التالي جاء جعفر بصديقه هميم، وقدم له نفس الوجبة، فكرر هميم ما فعله ناصر، وبعد الانتهاء عاد لأمه وأخبرها بما صنع صديقه. فقالت: «أحضر غدًا صديقك الثالث».

وفي اليوم الثالث استضاف صديقه خالد، ووضع السفرة وخرج لأمه

كبقية الأيام، وعاد بعد مدة من الوقت، فشاهد السفرة كما هي لم تمس، وحين بدأ الاثنان بتناول الطعام وجد خالد البيضة فقسمها إلى نصفين وقدم القسم الأول لصديقه جعفر، وتناول خالد القسم الآخر، وحين غادر خالد، ذهب جعفر لأمه وحكى لها ما جرى. فقالت له: «يا بني هذا هو رفيق دربك ومحزم سلاحك الذي تتحزم به في سفرك».

الحكاية التاسعة

ليلى والثعبان [1]

سعيد الزعابي [2]

تحت شجرة، كانت ليلى تجلس وفي يدها عود تحركه يمنة ويسرة؛ خطّت حروفًا غير مفهومة حتى كتبت في النهاية كلمة تتكون من ثلاثة أحرف: «أمي». لقد توفيت أم ليلى منذ أيام وما زال ألم الفراق يعتصر قلبها، لكنها كانت تكتم ألمها؛ من أجل ألا يشعر أبوها بحزنها فيذوق مرارة فقد الزوجة ومرارة حزن البنت.

ليلى وحيدة والديها؛ وأمها كانت بالنسبة لها الأخت والصديقة، كانتا تتشاركان عمل المنزل؛ فقد أصبحت في العشرين من عمرها. أما أبوها (عامر) فعمره خمسون عامًا، لديه دكان صغير في طرف البلدة يبيع فيه السجاد.

بعدما أحسّ أبو ليلى أن عمل المنزل أصبح شاقًا عليها فكر أن يتزوج وقال لابنته: «يا ابنتي العزيزة أن عمل المنزل شاقٌّ عليك لوحدك، وأنا أفكر أن أتزوج امرأة تساعدك في عمل المنزل، كما أنك أصبحت في سن الزواج،

(1) حكاية شفهية منقولة عن الموروث الشعبي العماني.

(2) كاتب عماني.

وقد يأتي إليك النصيب في أيِّ وقت وأبقى وحيدًا».

ردت ليلى: «نِعمَ الرأي يا أبي فهذه سنة الحياة».

تزوج والد ليلى من أرملة اسمها زليخة ولها بنت في سن ليلى اسمها سعاد.

كانت زليخة حادة الطباع وشرسة في التعامل، وبعد فترة من الزواج لاحظت اهتمام زوجها بابنته «ليلى» كثيرًا مما أثار غيرتها. ودبَّ الحسد في قلبها وتملكها الحقد.

كانت زليخة تميز ابنتها سعاد على ابنة زوجها ليلى؛ فتختار لها أحسن الثياب وتوكل لها من أعمال المنزل اليسير، أما العبء الثقيل فيكون دائمًا على كاهل ليلى، وليلى لا تود أن تخبر أباها بذلك حتى لا تزعجه. وفي أحد الأيام؛ أمرت زليخة ليلى وسعاد أن تذهبا إلى الغابة لإحضار الحطب؛ أعطت أم سعاد ابنتها حبلًا جيدًا، وأعطت ليلى حبلًا باليًا. كان الوقت عصرا، وحين انتهت الفتاتان من جمع الحطب كانت الشمس تشرف على المغيب.

ربطت سعاد الحطب الذي جمعته وهمّت بمغادرة المكان، بينما ليلى كلما حاولت أن تربط الحطب انقطع الحبل وهي تنادي على سعاد وتقول: «يا سعاد ساعديني فالحبل انقطع والشمس بدأت تغرب». ولكن سعاد لم تعرها أيّ اهتمام، كأنها لا تسمعها ومضت في طريقها.

احتارت ليلى ماذا تفعل؟! فإن هي تركت الحطب ستوبخها زوجة أبيها، وإن تأخرت فسوف يحلّ الليل؛ والغابة موحشة. أخذت ليلى تبكي؛ خوفًا، فجأة سمعت صوتًا خلفها يقول: «لا تخافي يا ليلى سوف أساعدك».

ولما نظرت خلفها رأت ثعبانا يقترب منها، وقف شعر رأسها من الرعب وقالت: «ما هذا! ثعبان يتكلم؟! هل أنت جنيٌّ أم ماذا؟ أرجوك دعني وشأني فأنا فتاة يتيمة مسكينة.. أرجوك ابتعد عني». كانت تقول تلك الكلمات وهي ترجع للخلف وتحاول الهرب.

قال الثعبان: «لا تخافي أنا لست جنيًّا وسوف أساعدك».

قالت: «كيف تساعدني؟».

قال: «سوف ألتفُّ كالحبل على الحطب، واحمليني معك إلى المنزل».

تصبب جبين ليلى عرقًا. وامتلأت حيرة، ولسان حالها يقول: «كيف أحمل ثعبانًا على ظهري؟!».

قال الثعبان: «لا تخافي لن أوذيك، وأنا أستطيع ذلك الآن؛ بل سأساعدك؛ وأغير حياتك للأفضل بشرط أن توافقي على الزواج بي».

ارتعدت أوصال ليلى مما سمعت مستغربة: «أتزوج ثعبانًا؟!».

ردَّ الثعبان: «نعم تزوجيني».

قالت: «وكيف أتزوج ثعبانًا؟!».

أجاب الثعبان: «أنا لست ثعبانًا، أنا أمير ولكن حدثت لي حادثة مع إحدى الساحرات، فقد كنت أتجول في أطراف المدينة ورأيت عجوزًا شمطاء، فسخرت من تجاعيد وجهها، فاستشاطت غضبًا مني؛ وألقت لعنة عليَّ «ستظل تغيّر جلدك حتى تغيّر أخلاقك وتقبل بك فتاة جميلة زوجًا لها»، وهكذا مسختني ثعبانا، ولكي أرجع إنسانا كما كنت يجب أن أقوم بعمل نبيل ثم أتزوج من فتاة جميلة ترضى بي زوجًا.

وها أنا أقدم لك خدمتي في ربط الحطب مقابل قبولك زوجة لي؛ ولا ألومك إن رفضت».

فكرت ليلى في نفسها: «ما هذا اليوم العصيب؟ الحبل تقطع والشمس غربت وثعبان يكلمني يريد أن أحمله معي للمنزل وأتزوجه».

أحسَّت بصدق كلامه وبالشفقة عليه؛ وبعد أن سكتت لبرهة قالت: «أنا موافقة».

التفَّ الثعبان على الحطب، وحملته معها إلى المنزل.

وعندما وصلت رأى من بالمنزل الثعبان ففروا هاربين والصراخ يملأ المكان، وإذا بأبيها يحضر عصا ليضرب الثعبان.

صرخت ليلى قائلة: «توقف يا أبي فإن هذا الثعبان ساعدني، وأريد أن أتزوجه».

اندهش الجميع ونظر كل واحد منهم إلى الآخر بغرابة.

قال أبوها: «تتزوجين من ثعبان؟!!».

قالت ليلى: «نعم يا أبي، وسأكون سعيدة معه».

ضحكت زوجة أبيها وقالت في نفسها: «هذه فرصة لكي أتخلص من هذه اللعينة؛ ثم قالت لزوجها: «زوجها إياه فهي مناسبة لثعبان».

ثم همست: «أفعى وثعبان يتزوجان، إنه لزواج مبارك»، وأخذت تضحك مع ابنتها سعاد.

كان الأبُّ في حيرة من أمره، لكن زوجته أصرّت عليه: «يجب أن توافق على هذا الزواج». وبعد إلحاح وافق الأب.

وفي الصباح بدؤوا بإعداد بيت الزوجية، فبنوا بيتًا من سعف النخيل بجانب منزل الأب، وعند مغرب الشمس بدأت مراسم الزواج، وزُفّت ليلى للثعبان.

وفي الليل تحوّل الثعبان إنسانًا، فرأت ليلى شابًا وسيمًا لم تر أجمل منه قط.

اقترب منها وقال لها: «سوف ألبسك ذهبًا من رأسك إلى أخمص قدميك، ولكن كلما ألبسك شيئًا منه أريدك أن تصرخي بأعلى صوتك كأنك تتألمين». وبدأت ليلى بالصراخ، وزليخة تسمعها من نافذة بيتها قائلة في سرها: «الدغ وزد.. الدغ وزد.. عساها تموت».

وعند بزوغ صباح اليوم التالي نظرت زليخة من الشباك، فتفاجأت مما رأت، فقد تحول بيت السعف إلى قصر ضخم. ذهبت مسرعة نحو القصر، وعندما دخلت رأت ليلى متزينة بالذهب وبجانبها زوجها الأمير، فقالت: «من هذا؟!».

فأخبرتها ليلى بالقصة كاملة. دخل أبو ليلى وسعاد القصر وعندما رأى ابنته على قيد الحياة فرح فرحًا شديدًا.

قالت زليخة لزوجها: «يجب أن تذهب الآن وتحضر لي ثعبانا؛ لكي أزوجه ابنتي سعاد».

قال أبو ليلى: «من أين أحضر لك ثعبانا؟!!».

قالت: «تصرف هذا ليس من شأني، أريده أن يكون ضخمًا».

ذهب الزوج إلى السوق واشترى بطيخة كبيرة حملها إلى الغابة،

ووضعها في كيس كبير وتركه مفتوحًا. وبعد فترة جاء ثعبان، ودخل في الكيس فأمسك به الزوج وأحضره إلى المنزل.

وعندما رأته الزوجة قالت: «يا لهذا الأمير الضخم، هذا يناسب أن يكون زوجًا لابنتي، وأعتقد أنه ملك وليس أميرًا».

بدؤوا بإعداد مراسم الزواج كما فعلوا لليلى، فبنوا بيتًا من سعف النخيل بجانب المنزل، وفي الليل سمعوا صراخ سعاد والأم تنادي من الشباك بصوت عال: «ألبس ابنتي ذهبًا أيها الملك العظيم، واجعل لها قصرًا يتسامع به الناس في كل البلدان».

بعدها ذهبت الأم إلى النوم، ووضعت رأسها على الوسادة لتنام قريرة العين، وهي تنتظر الصباح بفارغ الصبر.

عند الصباح أطلّت الأم من الشباك لتشاهد قصر ابنتها العظيم، لكن للأسف لم ترَّ سوى بيت السعف، فذهبت تهرول نحوه، وعندما دخلت لم تجد سوى ملابس ابنتها فقد ابتلعها الثعبان وهرب.

انهارت الأم ولم تستطع حمل نفسها، فقد قتلت ابنتها بيدها وكل ذلك كان بسبب حقدها وغلها.

وعاشت ليلى مع أميرها وأنجبوا البنات والبنين وصاروا حكاية وعبرة.

الحكاية العاشرة

نفايات الشعب [1]

ليلى عبداللّه [2]

كانت البلاد في هرج ومرج إثر احتفال الأزياء الكبير الذي سيقيمه الملك، والزيّ الذي سينافس الملك به الملوك الآخرين في هذه المناسبة.

عرض عليه أشهر الخياطين في البلاد تصميمات مختلفة غير أنه لم يقتنع بها، فهو يبحث عن شيء يميّزه عن بقية الملوك القادمين من الممالك الأخرى.

لست خياطًا، ولم أرث من أبي شيئًا سوى الفقر. ولدت في حي النفايات كانت أمي تبيع المعادن التي تلتقطها من كومة النفايات تربيت مع تلك الخردة وتعلمت تركيب أشياء منها كائنات تتحول إلى هيئات بشرية وحيوانية، وأحيانًا تغدو مجرد أشكال مشوهة لكن بطابع فنيّ يعجب بعض الأذواق.

وذات مرة أعجب أحد الفلاحين بشكل صنعته فاتخذه فزاعة لحقله يطرد بها الغربان، وأعطاني ثمنه ذرة من حقله، كنت في السابعة من عمري

(1) حكاية مستلهمة من الحكاية العالمية ثياب الإمبراطور الجديدة.

(2) كاتبة عمانية.

حينها.

ومنذ ذلك الحين صارت هوايتي صناعة هيئات غريبة من النفايات التي صارت مصدر رزقي، فألملم الخردة وأعرض ما تصنعه يداي للناس.

حين سمعت أن ملك البلاد يبحث عن زيٍّ مناسب للاحتفال، فكرت أن أصنع له ثيابًا من عدّتي التي أجمعها. بقيت أياما أجمع ما يفيض من أشياء الناس. ولحسن حظي كانت النفايات كريمة معي، فقد لملمت الكثير من قطع معدنية وخشبية وجلدية وبقايا أقمشة ذات أشكال وأنواع متباينة. لم أكن أضع عادة مخططًا لما أودّ صنعه. فحين أُعمل يدي فيما أحصل عليه تتخلق الهيئات التي تفاجئني أنا شخصيًّا. بقيت يداي تعملان لليال متواصلة على تركيب القطع بلا تخطيط مسبق. كان يهمني أن أصنع زيًّا يليق بمكانة ملكنا ويُظهر قوة شخصيته ومدى جبروته أمام أعدائه. عندما انتهيت من وضع آخر اللمسات تنحيت جانبا أتأمل الكائن المهيب الذي صنعته. وكان من الصعب عليَّ أن أخفي مدى إعجابي واندهاشي من الشيء الذي تشكل أمامي. استعرت عربة جاري ووضعت الكائن فيه. قمت بتغطيته بقطعة قماش ليبقى مخفيًّا عن أعين الفضوليين، ولتكون عين الملك هي أول من يراه.

كانت بوابات القصر مشرعة أمام كل الخياطين أو من يمثلونهم. دخلت إلى القاعة التي يستقبل فيها الملك وفود الخياطين. وحين وقفت أمامه قلت له محنيًّا كتفيّ: «أيها الملك الميمون، اسمح لي أن أرخي

الستار عن الزيّ الذي صنعته خصيصًا لك».

بدا الملك ومن حوله من حاشيته متحفزين. وحين رفعت الغطاء وقف الملك مشدوهًا. يتملى هيئة الكائن الذي يتوق لجسد جلالته حتى يكتمل. ثم صرخ مذهولًا: «يا له من زيٍّ لا مثيل له، إنه يعبر عن انتمائي لشعبي هذا ما أريده حقا! شيء يميزني ويظهر حب شعبي لي أمام الملوك الآخرين».

طلب الملك من حراسه أن يأخذوا الكائن إلى جناحه كي يستعد لمراسم الاحتفال. كما أنه أمر بصرف ألف دينار مكافأة لي.

كنت حريصًا على حضور الاحتفال. لأشهد ردة فعل الحاضرين. دخلت بين الحشود. كان الناس خارجين من بيوتهم محتشدين في الساحة الكبيرة حيث يجتمع الملوك مع ملابسهم الغريبة وهيئاتهم المختلفة. وقف ملكنا أمامهم بالزي المهول الذي صنعته. وكان من عادة ملك البلاد كما في كل عام من الاحتفال أن يمر بالقرب من شعبه لتلقي التهاني والدعوات.

وحين دنا من البسطاء متباهيًا بطلّته صار الناس لا سيما الأطفال يشيرون بأيديهم إلى أشياء متعلقة في جسد الملك.

وفجأة تناهت أصواتهم المختلطة من وسط الحشد الهائل: «انظري يا أمي أليس هذا حذائي الممزق الذي رميناه». وآخر يقول: «أنا متأكد أن هذا الدورق المكسور يخصني». وأخرى تعلق: هذه فأس زوجي المتوفى.. تلك ساعتي الرملية التالفة.. طبقي الذي تحطم.. حدوة

حصاننا.. أوه، إنه شريط شعري.. مشط دميتي. عكازة جدتي... ذاك زناري. إنه جلد حذائي. أوه، كأنه غطاؤنا..

اختلطت أصوات الناس البسطاء، كان كل منهم يشير إلى شيء كان يملكه، وبدوا مذهولين! كيف أن ملكهم كان يمضي مرتديًا أشياءهم البالية وهو يملك خزائن الأرض؟!

وصلت أصوات الحشود المتنافرة إلى الوفود الحاضرين من ملوك البلدان الأخرى، واستنكروا سلوك ملك هذه البلاد قائلين: «الملك يلبس خردة شعبه. يا له من ملك! انظروا إلى شعبه هؤلاء البسطاء حتى خردتهم سلبت منهم! يا له من ملك جشع!».

وأصوات البسطاء تهتف: «أعيدوا لنا خردتنا.. أعيدوا لنا خردتنا!».

تكثفت الأصوات حتى صارت أجسادهم تتبعها إلى حيث الملك يقف مذعورًا في داخل كائن ينهار رويدًا رويدًا. فقد كانت الأيدي الممتدة تنتشل ما كان ملكًا لها!

الحكاية الحادية عشرة

وريثة العرش [1]

ليلى عبداللَّه

كان يبدو للجميع أن ملك بلاد الذهب محظوظ ببناته التوائم الثلاث. فكل واحدة منهن تتمتع بقدر كبير من الجمال والأناقة والذكاء والموهبة. بالإضافة إلى تمتعهن بثراء فاحش؛ فكل ثروات الملك الأب من جواهر وذهب وماس كانت من نصيبهن.

«كم أنا ملك محظوظ» ظل الملك منذ ولادتهن يردد هذه العبارة. لكنه توقف عن ترديدها حين أشار عليه وزيره الحكيم أن يقوم بترشيح واحدة من التوائم الثلاث لتكون خليفة عرشه.

كان خيارًا صعبًا على روح الملك المرهف فهو يحبهن بالقدر نفسه ويقدر مدى صلاحهن لإدارة شؤون البلاد من بعده. لكن عليه أن يختار واحدة منهن فحسب لإدارة شؤون البلاد والعباد، فالمركب الذي يقوده أكثر من ربان قد يغرق.

(1) حكاية مستوحاة من حكاية شهرزاد في ألف ليلة وليلة.

لكن من الأصلح بينهن لذلك؟! ظلَّ الملك لليالٍ طويلة يعاني من الأرق ويقلب أفكاره.

وفي يوم من الأيام اكتشف الحفّارون منجمًا من الماس، طار الملك فرحًا لذلك غير أنه تذكر بناته فخطر له أن يتخذ من هذا المنجم اختبارًا لهن؛ حتى يرى أكثرهن حكمة وأكثرهن كفاءة للحكم من بعده، من غير أن يشعرن بتفضيله إحداهن على الأخريين.

أمر الملك بإقامة مأدبة كبيرة يدعو إليها ملوك ووزراء الدول المجاورة. أراد أن يشهدوا تلك اللحظة المهيبة، لحظة انتخاب ولية العهد. أراد أن يتفاخر بتنافس بناته التوائم الثلاث؛ ويستعرض في ذلك الحفل قوتهن وذكاءهن، ليعرف أيهن أجدر بقيادة البلاد. كان الملك يثق ببناته ومدى حبهن له ولبلادهن.

شهدت البلاد حفلًا كبيرًا؛ لم يكتف الملك بدعوة الملوك والوزراء، بل إنه سمح لشعبه بالحضور؛ فضجّت الساحة العامة بكثير من الناس؛ ليشهدوا اختيار الملك من يخلفه على العرش. كانوا يدركون أنه خيار صعب؛ فكل واحدة من بناته كانت تحظى بالقدر نفسه من المقام الشاهق والتقدير العظيم.

وقفت التوائم الثلاث في حضرة أبيهن. كن متماثلات في ملامحهن لولا تمايز لون أعينهن، فإحداهن زرقاء العينين، والثانية عيناها خضراوان، أما الثالثة فتمتعت بعينين عسليتين.

لكن ما ميزهنَّ حقًا هو تشابههن رغم اختلاف اهتماماتهن؛ زرقاء العينين ماهرة في تصميم المجوهرات؛ وقد أظهرت براعتها بصياغة عقد ألماس وضعته حول جيدها يسحر الناظرين ببريقه.

أما صاحبة العينين الخضراوين فقد تميزت بإعداد أشهى أصناف المأكولات بتوابل تقوم بإعدادها شخصيًّا وتحتفظ بسرّ وصفاتها لنفسها، وقد أعدّت كعكة مزينة برقائق الذهب وقدمتها لأبيها في عيد ميلاده الماضي.

إلا أن الابنة ذات العينين العسليتين بدت خجولة؛ لا يبدو أنها تتمتع بمواهب كالأختين الأخريين، غير أنّ الخادمات المناوبات على القصر وعلى رعايتهن، تحدثن أن الشيء الوحيد الذي تفعله طوال يومها أنها تمسك كتابًا وتبقى متشبثة به حتى أثناء تناول وجبات الطعام.

سرعان ما أعلن بوق الملك بدء المنافسة.

سأل الملك ابنته ذات العينين الزرقاوين وهي واقفة تستعرض بريق مجوهراتها الفخمة: «ماذا ستمنحينني يا ابنتي الغالية مقابل منحك منجمًا من الماس؟».

قالت الفتاة بثقة: «سأصنع لك تاجًا مرصعًا بمجوهرات نادرة، لم يسبق أن رآها بشر على وجه هذه الأرض».

هتف الناس إعجابًا، حتى إن الملوك والأمراء غبطوا الملك على ابنة بمثل موهبتها الفذة.

ثم التفت الملك إلى ابنته خضراء العينين، وسألها: «ماذا ستقدمين لي يا ابنتي العزيزة مقابل منحي لك منجمًا من الماس؟».

قالت الفتاة بصوت محبب: «سأعدّ لك أيها الملك طعامًا لم يذق مثله أحد على وجه هذه الأرض».

تلمظ الناس من اللذة، كم اشتهوا تذوق أطباقها ولو لمرة واحدة في حياتهم! وجدوا الملك محظوظًا بابنة ماهرة مثلها.

ثم تقدمت الفتاة ذات العينين العسليتين من والدها، فسألها الملك مثلما سأل الأختين: «ماذا ستمنحينني يا بنيتي المحبة مقابل منحك منجمًا من الماس؟».

قالت الفتاة بصوت مشوب بالنقاء: «سأحكي لك الكثير من الحكايات التي ستملأ وقتك حكمة ومتعة».

أثار ما قالته الفتاة للملك لغطًا واسعًا بين الحضور. وبدا الاستياء على وجوه ملوك وأمراء الدول المجاورة...

ماذا حكايات؟ ماذا قالت تمنح الملك: حكايات؟ ما فائدة هذه الحكايات؟ ماذا يفعل بها الملك؟ هل ستضاعف من ثروته؟ أم تحميه من أعدائه؟ يا لها من فتاة أنانية، جشعة، تريد الاحتفاظ بالثروات لنفسها دون أن تتجشم عناء تقديم شيء لوالدها الملك؟!

شعر الملك بإهانة؛ فحسم غضبه بأن أمر حراسه أن يضعوها في زنزانة؛ وقال في هياج: «تهديني حكايات؟ مجرد كلام! يبدو أن الكتب التي كانت تقرؤها سلبت عقلها. لتبقى هناك حتى تعقل».

وانفضّت المأدبة...

بعد أسبوع داهمت الملك حمى شديدة، شلّت أعضاءه، بقي طريح الفراش.

أثناء مرضه تكدّرت شهيته؛ بقيت كل أطايب الطعام التي كانت ابنته الطباخة الماهرة تعدّها له على حالها، لم يذق سوى رشفات من الحساء.

وظلت مفاصله تؤلمه رغم أن ابنته الأخرى صنعت له سريرًا من أعمدة الذهب، بل حتى وسائده وأغطية السرير كانت مطرزة بخيوط الذهب، غير أنها لم تكن تُسكّن آلامه؛ بل كان يشعر كما لو أنه ممدد على فراش من الصخر.

ساءت حالة الملك، لم يكن يهنأ بالنوم؛ تعكّر مزاجه؛ صار يغضب سريعًا كما لو أنه طفل. وحين قدمت له إحدى الخادمات الغداء تناول سكين الطعام المرصعة بالذهب، وكاد أن يطعن نفسه؛ لولا أنها سقطت من يده المرتعشة.

صار الملك محاطًا بحراسة مشددة يحمونه من نفسه ومن حالات الاكتئاب التي داهمته كعاصفة ثلجية عجز حتى أمهر الأطباء عن معالجتها.

وحين سمعت ابنته صاحبة الحكايات ما حلّ بوالدها. طالبت الحراس بأخذها لرؤيته. سمحت الأختان بذلك؛ فقد كانتا منهكتين من الاعتناء بوالدهن الذي ظلت أحواله الجسدية والنفسية تتدهور يومًا بعد يوم.

حين وقعت عيناها على والدها سالت الدموع على خديها، لقد بدا في حالة يرثى لها.

عزمت أن تعتني بوالدها. وظلت لا تفارقه ليلًا ولا نهارًا. تعتني بمأكله ومشربه.

وفي الليل تحكي له حكايات سبق وقرأتها من كتب متعددة؛ يسمعها حتى يغفو على صوتها المشبع بالخيال والمغامرات والحكم؛ فيستيقظ في اليوم التالي بنشاط متحمسًا لإكمال الحكاية.

تحسنت أحوال الملك النفسية حتى إنه ما عاد بحاجة للأدوية؛ وانفتحت شهيته للطعام والحياة. بعد شهر تحسنت أحوال الملك الجسدية وصار بإمكانه التجول في حديقة القصر وكانت بناته الثلاث برفقته.

أدرك الملك الخطأ الذي اقترفه؛ وعلم أن الكلام قد يكون أغلى من الألماس وأشهى من الطعام؛ واعتذارًا لابنته أمر بإنشاء مكتبة ضخمة؛ فما كان لها أن تعرف كل تلك الحكايات وتسرد له الخيالات العجيبة والمغامرات الشيقة والحكم الثمينة لولا مطالعتها لكتب الحكماء.

لم ينتخب الملك ابنته الحكاءة لتكون وريثة عرشه؛ إنما تنازلت لها الأختان عن طيب خاطر؛ لما أظهرته من حكمة وتواضع.

الحكاية الثانية عشرة

روح جبر الحذاء [1]

وضحى المسروري [2]

(1)

الأمير

أطل الأمير من نافذة تشرف على حديقة القصر من جهة الغرب، وقد ارتدى سترة مزدوجة الصدر عليها ستة أزرار ذهبية مستديرة نقش عليها التاج الملكي، والخادم ما زال ممسكًا بالبدلة البيضاء طويلة الذيل ويتدلّى من جانبها الأيسر سلسلة تحمل شارة الإمارة، وعينه تترقّب إشارة من الأمير كي يساعده في ارتدائها. أفرد الأمير راحته وباعد بين أصابعه مشيرًا إلى الخادم أن ينصرف.

كان الخادم في منتصف الخمسين، وما زال يحتفظ بروح الشباب بقامة مشدودة لم يتسلل إليها الشيب وحاجبين أسودين وعينين برّاقتين، لكن جبهته قد غافلها الزمن ورسم عليها خطوطا متموّجة وبرزت وجنتاه استقبالًا

(1) حكاية مستوحاة من الحكاية العالمية فتاة الرماد المعروفة بـ«سندريلا».
(2) كاتبة عمانية.

لطلائع الشيب. وشعره كأنه أصبح رمادا بعد اشتعال بات يقضي على السواد.

أنفق الخادم شبابه في خدمة أهل القلعة، ولمّا رأى الملك من ضروب إخلاصه جعله من المقرّبين واختصه بخدمة ابنه ولي العهد، ومنذ ذلك اليوم والخادم يشعر بدالته على الأمير ولا يخفيه أمرا، ويتجاسر على مبادلته الأحاديث ومكاشفته ما يجول في دخائل نفسه، ويستهلك نفسه في بلوغ الأمير الراحة. وكذلك الأمير وجد في هذا الخادم رائحة الأصدقاء وعطف الآباء ورحمة الأمهات.

تراجع الخادم خطوتين إلى الوراء وقبل أن يستدير منصرفًا قال: «يا سيدي الأمير جميع الحضور في انتظارك»، وقبل أن يكمل كلامه ردّ عليه الأمير: «لا طاقة لي بحضور مناسبة هذا اليوم، اتركني وشأني لا رغبة لي في رؤية أحد». كانت مائدة الإفطار حاضرة ومعدة والجميع ينتظر الأمير للبدء بتناول الطعام، إذ وزعت على المائدة صحون من الزجاج عليها الزبدة ومربى العلّيق والتوت وسلال الخبز الطازج وأباريق الشاي ودوارق المشروبات المنعشة.

كان نظام الطعام في القصر يقدم وجبة إفطار بسيطة ويُسرف في وجبة العشاء؛ حين يكون الجميع قد فرغوا من شواغلهم فيستقدمون فرق الموسيقى وعازفي القيثارة ويحضر الأمراء والنبلاء وأصحاب الرتب العالية والفرسان وغيرهم. ويتوزعون في ردهات القصر وعلى طاولات الطعام يتبادلون القصص والأحاديث ساعات عديدة إلى منتصف الليل، ويُقدّم لهم

فيها المقبلات والحلويات والوجبات الدسمة والمشروبات والأنبذة المتنوعة.

أسند الأمير رأسه بين كفيه، وهو في شاغل عمّا حوله، يتلهّى عن الهم برمي حجر النرد على الطاولة، دخل عليه الخادم ووقف قريبا منه، وبدأ بالكلام عن أمور شتى حتى أنس به الأمير وانقشعت سحابة الهمِّ قليلًا، فقال له: «إن ما يهمني أكبر من الممالك وأثقل من الجبال الراسيات. إنها سندريلا التي لم يهنأ لي العيش معها».

وكان الخادم ينتظر هذا الاعتراف منذ زمن، إذ راهن منذ البداية على فشل زواج الأمير من سندريلا. فتجاسر مندفعًا وقال له بغنّة العتاب: «كيف استسلمت لغواية الحبّ أيها الأمير؟! ومن الذي أوقعك في هوّته السحيقة؟ وما الذي أغراك في سندريلا الفتاة البائسة المتحوّلة؟! وفي هذه القلعة من الحسناوات بنات النبلاء والفرسان ما يعجز عن وصف حسنهن أربابُ الكلام وأساطينُ الفن، وهنَّ جميعا طوع بنانك ورهن إشارتك؟! لقد أشرت إليك أن تصرف النظر عن البحث عن صاحبة الحذاء الزجاجي، لكنك أصررت متحديًّا، أنك ستقترن بها رغم أنف الجميع».

أشاح الأمير بوجهه عن الخادم، وضيّق عينيه وقارب بين حاجبيه ورفع شعره الأصفر المسترسل على كتفيه، وقال: «لقد أنهكني التعب، وتسلل إلى نفسي اليأس وأنا أعلّمها فنون الإتيكيت وبروتوكولات حياة الملوك. وهي ما زالت تخرق البروتوكول وتحشرني في زاوية ضيقة من الإحراج أمام النبلاء. ليلة البارحة على مائدة العشاء كانت تتعمّد وضع الشوكة والسكين

متوازيتين وتعود إلى الطبق لتأكل مرة أخرى؛ حتى اضطررت أن أشير إلى إحدى الوصيفات أن تجعلهن متقاطعتين.

وعندما أبحث عنها أجدها ترفع الصحون مع الخدم، ولقد أخبرتني إحدى الخادمات أنها تشاكسها وتأخذ منها المكنسة كي تكنس ممرات وأروقة القصر. بل إنها تتبع الفئران في جحور الإسطبلات كي تطعمها فتات الخبز البائت. ولا يهنأ لها إلا ارتداء ملابس صوفية بتطريزات بسيطة جدا لا تليق حتى بالخدم، وكلما أرسلت لها الماشطة تردها خائبة، لأنها تفضّل تسريح شعرها بنفسها وهي لا تحسن إلا رفعه على شكل كعكة وتغرز الدبوس في وسطه. قلْ لي ماذا أفعل معها؟!

لقد بلغ مني الغضب مبلغه البارحة، وعيل صبري، فانتزعت منها الحذاء الزجاجي، ورميت به على المرآة، فتهشّمت وانكسر الحذاء الذي أرداني في مهاوي العشق. فحضرة جناب الأميرة لا تنام إلا وهي تحتضن الحذاء الزجاجي وتدثّره بريش النعام بحجة أنها ستتحوّل بعد منتصف الليل إلى ما كانت عليه من الفقر والبؤس؛ فهي هذه المرة لا تريد أن تفقد فردة حذائها حتى لا أبحث عنها من جديد».

(2)

سندريلا

دخلت الوصيفة العاملة وهي ترفع فستانها الطويل المصنوع من الحرير والدانتيلا وكان محبوكًا على جسدها حتى الخصر ثم يزيد اتساعًا، وينتفخ

حتى يصل إلى الأرض، ومطرّزا بأغصان من الورد، ويزيّن جيدها المرمري عقد من اللؤلؤ، وقد صفّف المزيّن شعرها الكستنائي بتسريحة «أورورا» ووضع عليها نجومًا من الكريستال.

الوصيفات يقمن بأعمالهن بصورة فخرية إذ إنهن لا يتقاضين الأجور، فقط يكفيهن شرف العمل في خدمة الأميرات واستقبال الضيوف وتوديعهم، وتحديد مواعيد الزيارات، وينقسمن إلى وصيفات عاملات ووصيفات الشرف اللاتي كن يقمن بأعمال الوصيفات العاملات في حال اشتغالهن.

جثت سندريلا على بقايا الزجاج المحطّم وهي ترتدي منامة حريرية سماوية اللون بأكمام طويلة، وتلمّ شعرها الأشقر بشريطة حمراء، وعبثًا حاولت لملمة شظايا الزجاج من حطام حذائها الذي لم يبق منه سوى كعبه. وقد تخدّشت أصابعها العاجية واصطبغت بحمرة الدم. فمسحت دموعها بأصبعيها السبابة والوسطى. واستسلمت لحزنها وغطّت وجهها بكفيها، وندبت حظها العاثر الذي قذف بها من حياة القسوة والتسلّط والجور إلى حياة الاستبداد وقبضة القوانين وربقة القصور.

أسرفت الوصيفةُ في إظهار الشفقة على حال سندريلا، فربّتت على كتفها، وأمسكتها من ذراعها محاولة مساعدتها على المشي إلى السرير، وأحضرت منديلًا وزجاجة كحول وشرعت تداوي جروحها، وتركتها مستلقية على فراشها وخرجت من الغرفة آمرة إحدى الخادمات أن تقوم بتنظيف الزجاج المحطّم.

بعد وقت الزوال بقليل عادت الوصيفة تجرّ أمامها عربة فضية عليها

صحن به شرائح اللحم وحبات البازيلاء وخبز الحنطة وقارورة ماء وكأس به عصير الليمون.

استندت سندريلا على الوسادة وأخذت تأكل بنهم من أضناه الجوع، ورمت الشوكة والملعقة جانبا وشربت العصير جرعة واحدة، وتناولت اللحم بيديها، وبعد أن فرغت من طعامها، قالت للوصيفة: «لم يطبْ لي الطعام مثل اليوم فقد أكلتُ بحرية بعيدًا عن بروتوكولات الأمير الذي يحصي عليّ أنفاسي أثناء تناول الطعام».

التفتت سندريلا إلى الوصيفة، وقالت لها بخبرة من عركه الدهر ونطق بالحكمة: «أتعلمين أن الحب لا يعرف الحياد؟ وأن التعالي والغرور يطوّح بالحب مكانا قصيًّا، لقد دخلتُ هذا القصر وبي من الحب النقيّ للأمير معينًا ما ظننته ينضب يومًا ما».

ثم نزلت من السرير حافية القدمين، وخطت باتجاه إطار المرآة المكسورة وسحبت الكرسي الهزاز وجعلته مقابلا للمرآة وجلست تتأرجح عليه، فسارت الوصيفة في أثرها وجلست بين يديها، وكأنها تستزيدها البوح بخوالجها.

أرخت الأميرة سندريلا جفنيها، وصعّدت أنفاسها وقالت: «لقد ضقت بقيود القصر لا أخطو خطوة إلا وأنا مكبّلة بأغلال الأوامر: إذا مشيتُ أمرني الأمير برفع ذقني إلى الأعلى، وإرجاع كتفي إلى الوراء، وألزمني بأن أصغي السمع لدقات قلبي، كي تسبق خطواتي، وأنى لي ذلك؟ وأنا اعتدت أن أتفقّد أصدقائي الحيوانات، وأديرُ ناظري إلى الطبيعة، وأعبث بالحصى وأركله

بقدمي؟ وإذا جلستُ أملى عليّ قوانينه، بوضع ساقيّ متجاورين ومحكمين بلا أدنى فراغ بينهما ومتقاطعين عند الكاحل، ولا بد من إمالتهما إلى جهة اليمين، وإذا سررتُ بزيارة أحد وأردت استقباله بأريحية التفّتْ أحكامه على رقبتي، وضيّقت عليّ الخناق. حتى نومي حاصرته القوانين كأذرع الأخطبوط».

وقفت الوصيفة خلف الأميرة وقالت لها: «أتأذنين لي بالكلام؟».

أرسلت سندريلا نظرها إلى الفراغ وعضت شفتها السفلى، وقالت بسأم من اعتاد تكرار القول: «ها أنتِ دائما تقفين في صف الأمير، وتبررين أفعاله، ولن تقولي شيئًا جديدًا سوى أنه أمير الممالك، والأمر أمره، ولا بدّ أن أسعى حبوًا لاسترضائه، وأرهن ماء عيني لأجل راحته، وأتعلم ألف باء حياة الملوك. كل هذا علي هيّن؛ ولكنني أبحث في عينيه عن سندريلا التي لم يكن يعدل بها أحد، والآن يكبّلها بقيود من حديد. ويريد مني أن أكون دمية مبهرجة تنصاع إلى الأوامر كي يكسبَ بي الرهان. ما كنت أحسب أنني سيفيض بي الحنين إلى رائحة نشارة الخشب، وإلى مواقد الحطب ورماد المدخنة وصوت خالتي تكيل إليّ السباب، وإلى رخاوة العجين العالق بين أصابعي في فجر يوم شتوي لا يخرق صمته سوى نباح كلاب يأتي من ناحية الغابة».

وشوشة نسيم يحمل في أنفاسه الحرية يداعب قلب سندريلا وهي تتطلع نحو الأفق البعيد.

الحكاية الثالثة عشرة

«السَّوْء» [1]

محمود علي [2]

استوطن البرج فلا مأوى له غيره ولا ظل. كل أثاثه حصير من سعف في ساحة دائرية صغيرة، تمامًا كدائرة الحياة.

هكذا كان «السوء» يهشّ حياته مثل راعٍ، مستظلًّا بظلِّ العزلة، تاركةً له الحياة عينًا ثالثة لا تغمض في قلبه، قربانا لكلّ المآسي النازلة على من دحرجتهم الدنيا بسطوة الجلادين الحقراء.

لم يكن يضحي بوقته بحثًا عن لقمة يومه، لكنها صعلكة بريئة تديرها عينه المفتوحة ليلًا نهارًا، لكيلا يلحق بخزين محبته خدش خفيف، وحتى لا يرى الآخر في عذاب.

كان السوء يأوي إلى خرابة البرج، في تلٍّ مهجور، مقتنعًا بسلام داخلي بأن كل الأمور ستتدبر، غير مكترثٍ بما تهوي به الصباحات والمساءات من سوء.

يمشي متتبعًا أخبار العامة، يستدرج الخطوب ليذيبها في غرفة مظلمة

(1) حكاية شفهية منقولة عن الموروث الشعبي العماني.

(2) كاتب عماني.

إلا من نورانية روحه، منتهجًا أسلوبًا ستتسع فيه دائرة عينيك اندهاشًا لو سردها لك أحدهم.

كان السّوء يفدي نفسه على من كان يحكم عليه القاضي بحبس في القضايا البسيطة محدودة الأيام، ولو سمحَ له في القضايا الكبيرة لرمى نفسه فيها، فكان يتطوع في ذلك نظير توفير لقمة طعام في الصباح والمساء لمن يعرفهم، ولمن لا يعرفهم يقبض ثمن ذلك قروشًا معدودة.

تجده متكئًا على باب القلعة، يحوم هناك مستعدًا لتقديم نفسه لكل من يطلب منه ذلك، لا يبالي من أي قبيلة أو فخيذة طالما نزل عليه حكم السجن. وعندما يتمّ الاتفاق بين المتهم والسوء يسأله القاضي عن موافقته رغم معرفته السابقة بأنه جاهز لذلك، فهو يراه وكأنه امتهن هذه العادة منذ زمن.

لم يكن كذلك ولم يعرف المدانون أنَّ السوء كان نورانيًّا بسجيته، لم يعرفوا أن القصص التي يسردها بعد خروجه من هناك في كل مرة مشبعة بالدروس لمن يحسن الاستماع، رغم اللثغة التي في لسانه عندما يتحدث. كان يتحدث عن مدة حبسه وكأنه هو صاحب القضية أو التهمة، ويسمعه المجاورون له في الغرف الأخرى وهو يتحدث معهم، حتى أصبح مألوفًا لهم وكأنه على موعد معهم في كل مرة.

ولم يكن يتحرج من حديثه مع العامة بعد خروجه وسؤالهم إياه عن غيابه بكل عفوية، فيقول لهم إنه كان نزيل القلعة. متحفظًا على ذكر اسم صاحب القضية، يرى أن من الدناءة أن تقدم على ذكر من خدمته بكامل

إرادتك حتى وأن كان بنظير ومقابل.

هكذا كان السوء الذي ما زلت إلى اللحظة لا أعرف لماذا أطلق عليه هذا اللقب؟ لكن المعنى الذي كان يعيشه في حياته الهامشية يشدّ الانتباه، كيف خلق ذلك الرجل المعدم من تلك الحياة عظمة جعلته بمنزلة وليّ صالح لا همّ له في الحياة إلا أن يعيش محبًّا كما يعيش يومه غير مبالٍ إلا بلحظاته؟

لم يكن عرّافًا ولا يقرأ الطالع، ولكنه كان نورانيًّا بالفطرة، يتنبأ بالقادم فيصدق.

بعد موته تيتم البرج، فقد كان كلّ ساكنيه، وبعد موته لم يعد هناك من يفدي المحكوم عليهم بأيامه، لم يتكرر السوء في شخص آخر، ولم يُشاهَد منذ موته رجلٌ يقتطع جزءًا من حريته ليفرح الآخرين. ربما أسماه الناس السوء لنحالة جسده أو لكثرة محبوسياته، وكان عليهم ألا يطلقوا عليه السوء بل الحسن.

الحكاية الرابعة عشرة

إمّا وإمّا وإمّا [1]

هالة حمد الحضرمي [2]

في أحد الأزمِنة كان هُناك صديقان مثل الأخوين مُتشاركان في كُل شيء، كان أحدُهُما يملك حصانًا. وفي الإسطبل بينما كانا يجلسان مع بعضهما، كان الحصان يصدر صهيلًا غريبًا، فتساءل صاحب الحصان عما جرى لحصانه، وأخذ يتفحصه من كُل جانب إلا أنه لم يعرف السبب الذي يجعل الحصان يصدر ذاك الصهيل الغريب.

فقال له صديقه مُمازحًا إياه إنه يفهم لُغة الأحصنة، وإن أحد حوافر الحصان قد طُعِنت بشكلٍ ما. فأخذ صاحب الحصان يتفقد الحوافر، رُبما يكون صديقه على صوابٍ، وفجأة وجد مسمارًا في الحافر الخلفي الأيمن لقدم الحصان. فتيقن من كلام صديقه وصدقه، والغريب في الأمر أن صديقه ذاته قد صدق نفسه، ولم يعتبرها صُدفة.

مضت سنوات وتعيّن صاحب الحصان وزيرًا لدى الملك. أما صديقه

(1) حكاية مستلهمة عن قصة المثل العربي «مُتْ يا حمار».

(2) كاتبة عمانية.

فبقي بلا عمل. ولم ير أحدهما الآخر لسنوات لاحقة، فالوزير أعماله كثيرة لا يستطيع تركها أو إهمالها ولم يعد لديه الوقت للعلاقات الاجتماعية ومواصلة الأصدقاء. لكن صديقه ظنَّ به السوء؛ وبأنه بعدما تسلم المنصب الجديد تعالى وتكبّر على أصدقائه القدامى.

فقرر هو الآخر أن يكسب المال وإن كان ذلك بالغش والخداع، فبدأ يشيع بين الناس أنه يفهم لغة الأحصنة، لكنه لم يكن إلا نصابًا مُحتالًا يأخذ المال مقابل ترجمة كاذبة أو خادعة للناس، وكانت الناس تصدقه فهو دائما يستشهد بحادثة حصان الوزير فلان.

بعد مدة من الزمن أهدى أحد أصدقاء الملك حصانًا للملك؛ وغدا ذلك الحصان المفضّل لدى الملك في ركوبه ورحلاته. وذات يوم لم يتناول حصان الملك طعامه وكان جامحًا وثائرًا، فاستشار الملك وزيره حول ذلك الأمر؛ ولأن الوزير ما زال مُخلصًا لصديقه القديم، قرر أن يدلّ الملك عليه ليترجم لغة حصان الملك، ظنًا منه أن مُزحة صديقه حقيقة. وقد دلَّ الملك عليه محبة وإخلاصًا له؛ ليجد له عملًا يجني منه المال.

أمر الملك بإحضار هذا الرجل فورًا؛ لكن الرجل أنكر معرفته بلغة الأحصنة، وبأن الحصان أعجم ولا يمكنه الكلام وهو لا يجيد ترجمة وفهم أصوات الحيوانات العجم، واعترف الرجل بالحقيقة خوفًا من خداع الملك وقطع رأسه إن ظهر للملك كذبه وخداعه.

غضِب الملك من إنكار الرجل، وأمر بقطع رأسه، فقد كان يعلم أن وزيره من المستحيل أن يكذب عليه، فهو يثق به. بكى الرجل واستشفع له

الوزير بأن يمهله الملك حتى يتمكن من فهم كلام حصان الملك. فأعطى الملك للرجل مهلة ثلاثة أيام؛ ليفكر في أمره قبل تنفيذ الحُكم عليه.

حمل الرجل في قلبه وتيرة على الوزير، وازداد حقده عليه وكرهه له؛ إذ ظنَّ أن الوزير دبر له هذه المكيدة للتخلص منه، في حين أن الحقيقة عكس ذلك تمامًا.

وفي الحبس أخذ الرجل يفكر في حيلة للتخلص من مصيبته وإهلاك الوزير أيضًا، ولما يئس وتعب من التفكير أخذ يولول ويبكي وهو يردد عبارة «إما وإما وإما» ثلاث مرات. وصادف أن سمعه الحارس عندما كان يردد تلك الكلمة فأخبر الملك بذلك.

أمر الملك بإحضار الرجل إليه فورًا، وسأله عن معنى تلك الكلمة التي كان يُرددها، وفي تلك اللحظات توالت الخطط الخبيثة في عقل الرجل؛ فرَّدَ بِكل أدب وتهذيب على الملك: «أنا لا أفهم لُغة الأحصنة إطلاقًا». لكن الملك أصر على الرجل بأن يخبره الحقيقة ووعد الرجل بالعفو عنه إذا أخبره عن معنى تلك الكلمة.

فأخبر الرجل الملك بأنه كي يتخلص من المُشكلة التي وقع فيها؛ إما أن يموت هو أو الملك أو الحصان. وأن الوزير كان صديقه القديم وبأنه كان لا يحبه ويريد التخلص منه بأي طريقة.

اقتنع الملك بأن الرجل بريء وأن مصيبته ما هي إلا مكيدة من الوزير؛ للتخلص من الرجل. فأراد الملك معاقبة الوزير، فطلب من الرجل أن يساعده بأن دبر معه مكيدة للإيقاع بالوزير وكشفه على حقيقته.

وفي اليوم التالي استدعى الملك الوزير إلى الحديقة وهناك كان الرجل صديق الوزير ينتظره برفقة الحصان. سأل الملك وزيره قائلًا: «هل قلت لي إنَّ هذا الرجل يفهم لغة الأحصنة؟».

أجاب الوزير: «نعم يا مولاي».

فقال الملك: «وهل أنت واثق به ومتيقن من صدقه».

فرد الوزير على الفور بكل ثقة: «مثلما أثق بنفسي يا مولاي، فلقد خبرته سابقا وجربت صدقه».

هزّ الملك رأسه وقال: «دعنا نرَ ذلك. أيها الرجل! ماذا يقول لك حصاني إذا كلمته». لمس الرجل جبهة الحصان ووكزه في خاصرته ليصهل، رفع الحصان قوائمه الأمامية وصهل بشدة. فقال الرجل: «يا مولاي الملك.. إن الحصان يقول إن وزيرك هذا مخادع محتال، ولقد حاول عدة مرات أن يؤذيك بواسطتي حينما كنتما تتنزهان معا في المدينة؛ فلقد لكزني بقوة وأنت على ظهري فقفزت قفزة قوية كدت أنت أن تسقط من على ظهري بسببها».

قال الملك: «نعم أتذكر ذلك جيدًا، لقد كان ذلك حين خرجنا في صباح أحد أيام الأسبوع المنصرم، أليس كذلك أيها الوزير؟».

وجم الوزير ولم يحر جوابًا.. ولكنه قال بثقة: «مولاي يدرك جيدًا مدى صدقي وإخلاصي له في خدمته».

ردَّ الملك غاضبًا: «هذا واضح لي من خلال كلامك.. فأنت تقول بأن هذا الرجل صادق ويفهم لغة حصاني، فمن هو الكاذب المخادع منكما؟؟

هيا أجبني بسرعة، أم أنك تنكر حادثة الحصان أيضًا؟؟».

رد الوزير متلعثمًا: «لقد وكزته حين شكوت لي من بلادته وبطئه وسرعة حصاني في اللحاق بالغزال الذي كان مولاي الملك يرغب بصيده، فأردت من الحصان أن يسرع».

احمرَّ وجه الملك غضبًا وتغير قلبه على الوزير، وقال له: «لقد اعترفت على نفسك بأنك سعيت لقتلي أيها الخائن، إنك تستحق أقسى العقوبات».

نظر الوزير إلى الملك نظرة ملؤها العتاب، ولكنه لم يرد عليه، فلقد أثبت على نفسه تهمة وهو منها بريء، ولا سبيل له للخلاص منها.

أمر الملك الجلاد بأن يسحب الوزير للسجن وأن تقطع رقبته بتهمة الخيانة.

اقتيد الوزير وهو ينظر لصديقه الخائن نظرة تحمل الكثير من الكلام والوعيد بأن للخير جولات وصولات مهما انتصر عليه الشرّ مرات ومرات.

الحكاية الخامسة عشرة

المسمار [1]

سعاد علي العريمي [2]

كان يا مكان في سالف العصر والأوان، كانت هناك أرض طيبة بمائها وهوائها العليل وحدائقها الغناء، وبها بيت جميل يسكنه أناس طيبون، قد أنعم الله عليهم بالسكينة والرحمة. وذات يوم سكن بجوارهم رجل يدعى جحا، وجعل زيارتهم بالليل والنهار ديدنه. وفي يوم من الأيام جاء جحا وهو يحمل مسمارًا ضخمًا، وطلب منهم أن يخبؤوه له في غرفة من غرف بيتهم؛ لأن المسمار عزيز عليه جدًّا، ولا يستطيع أن يضعه في بيته. اندهش صاحب البيت من طلبه وأراد أن يرفضه؛ لكن جحا ركض سريعًا داخل البيت ليدّق المسمار الضخم في جدران أفضل غرفهم، وقال إنه سيمرّ كل يوم للاطمئنان على مسماره العجيب، وخرج من البيت.

غضبت زوجة الرجل صاحب المنزل لذلك، وقالت لزوجها: «لا بد أن ترجع له مسماره». ولكن زوجها لم يعر كلامها اهتمامًا. وعند المساء

(1) حكاية مستلهمة من نوادر جحا المذكورة في كتب النوادر العربية.

(2) كاتبة عمانية.

طرق جحا باب بيت الجيران، وحين فتح الجار له الباب ذهب جحا مسرعًا لرؤية مسماره العزيز، وجلس في بيت جاره إلى أن تعشى معهم، ثم تركهم وهو متخم البطن.

وفي الصباح الباكر جاءهم، ولم يخرج إلى أن أفطر عندهم، وكذلك فعل عند وقت الغداء. ومرّت الأيام وهو على هذه الحال، فتعاظم مسمار جحا العجيب، وكسر جدران الغرفة واخترق كل الغرف، وتصدعت جدران بيت الجار الصالح؛ فغادره قبل أن يسقط عليه وعلى أهله.

وهكذا استمر جحا يصنع نفس الصنيع بجميع من في هذه البلدة، فيسلبهم منازلهم، ويستولي عليها بعد خروجهم منها.

وتحولت البلدة الطيبة إلى بلدة حزينة استباح جحا أرضها وسماءها.

الحكاية السادسة عشرة

مدرسة الأميرات [1]

يسرى سعيد [2]

في أحد مقاهي البلدة تعمل لورين نادلة لتستطيع إعالة والدتها المريضة وأختها الصغيرة إيملي. وذات يوم بعدما عادت لورين إلى البيت وهي منهكة من العمل طول النهار، وجدت أختها إيملي تكتب واجباتها المدرسية أمام شاشة التلفاز الذي يبث في ذلك الوقت مسابقة مدرسة الأميرات.

داعبت لورين أختها الصغيرة قائلة:

- ارقصي معي أيتها الأميرة الصغيرة إيملي.

ترقص إيملي بفرح مع أختها لورين وضحكاتها الطفولية تبهج المكان.

- دعيني أحضر تاجك أيتها الأميرة لورين (تاج صنعته إيملي من ورق).
- أنا لست أميرة.
- كل فتاة هي أميرة، تاج بعضهن أغلى ثمنًا فقط.

---

(1) حكاية مستلهمة عن فيلم «باربي في مدرسة الأميرات».

(2) كاتبة عمانية.

- كيف حال أمي؟
- يقول الطبيب إنها على ما يرام.

ويأتي صوت الأم الضعيف ويقطع حديثهما:

- لورين أأنتِ هنا؟
- مرحبًا أمي أحضرت لك كعكة التوت.

تصرخ إيملي:

- الآن.. الآن حان وقت مسابقة مدرسة الأميرات.

المذيعة تبدأ بالقرعة.

- كل سنة في مدرسة الأميرات تفوز مواطنة عادية بمنحة دراسية تؤهلها لتكون المرافقة الملكية التي تثق الأميرة بنصائحها. تبدأ بلف أسطوانة القرعة التي تحمل بجعبتها أسماء المشتركات من عامة الشعب، وهي تردد بمرح: ترى.. من ستكون صاحبة الحظ السعيد لهذا العام؟

أخيرًا تفتح الأسطوانة وتخرج ورقة لتقرأ اسم الفائزة «لورين ويلوز».

صرخت إيملي فرحًا وسط دهشة لورين والأم، تساءلت لورين:

- أنا لم أرسل أي.... إيملي أنت أرسلت اسمي؟!
- فقط خمس أو ست مرات في اليوم ولمدة عام كامل.

تفكر لورين وهي تنظر إلى إيملي التي ترقص وتغني فرحًا: «كيف لي أن أترك أمي المريضة وأذهب إلى مدرسة الأميرات التي تضم أميرات ومرافقات من الطبقة النبيلة، أنا لا أنتمي إلى هناك، أنا نادلة، لكن وظيفة

مرافقة ملكية ستغير حياتنا إلى الأبد، وسأتمكن من شراء منزل جميل لنعيش فيه مثل الرسومات التي ترسمها إيملي، وإحضار أطباء أفضل لأمي».

انصاعت لورين للقدر الذي كتب لها، وذهبت إلى مدرسة الأميرات التي تخبئ لها المفاجآت. في البداية كان الأمر صعبًا عليها، فيجب أن تعرف كل شيء عن الحياة الملكية، وكيف تحيا الأميرات وأسلوبهن في الأكل واللبس والمشي والحديث.

واجهت لورين مشاكل كثيرة مع عدة فتيات في المدرسة من بينهن فتاة تدعى ديلانسي، فهي دائمًا تتعالى عليها وتذكرها بأنها نادلة ولا تنتمي إلى مدرسة الأميرات، فالفتيات في مدرسة الأميرات أرفع بكثير من مستوى نادلة.

بعد أول أسبوع دراسي استدعت مديرة المدرسة الفتاة لورين إلى مكتبها بعد أن حدثت عده مشاكل في المدرسة من تخطيط ديلانسي.

- في البداية أريد أن أخبرك أنه وصلت لك علبة من إيملي ويلوز.
- حقًّا! إنها أختي.

فتحت العلبة بسرعة، وكانت لوحة جميلة من رسوماتها وهي عبارة عن طفلة صغيرة في المهد وضعت أمام باب بيت الأم، نظرت المديرة إلى اللوحة بينما شرحت لها لورين قصة اللوحة، إيملي تعشق القصة عندما وجدتني أمي عند بابها، لقد كنت وحيدة ثم تبنت أمي إيملي بعد ذلك بسنوات.

المديرة تفكر بضع دقائق ثم تقول:

- هل تعرفين؟ لماذا طلبتك في مكتبي؟
- ليس لأجل اللوحة؟
- لا ليس كذلك، لأكون صادقة معك لم أر طالبة بهذا السوء بين جدران هذه المدرسة، منذ عدة دقائق كان أمر طردك محتومًا؛ لكني قررت أن أبقيك؛ إذا كان بإمكانك الغوص في أعماقك واستخراج الأميرة التي بداخلك فسوف أقوم بتدريبك.

كل صفوف المدرسة تحتاج إلى الشخصية والثقة والوقار، كان هذا أول درس تدرّبت عليه لورين.

تمر أيام الدراسة سريعًا وكانت مليئة بالمعلومات وخصبة بالمغامرات التي تعلمت منها لورين الشيء الكثير رغم مشكلات ديلانسي التي كانت تشوب نجاحها.

لم يتبق على حفل تتويج ديلانسي ملكة البلاد سوى بضعة أيام، ويتم تتويج الأميرات والمرافقات الملكيات اللواتي اجتزن العام الدراسي بجدارة.

***

اجتمعت المديرة بجميع طالبات المدرسة:

- لدي خبر مثير، ستتذوقن طعم مستقبلكن اليوم في القصر، وسنتناول طعام العشاء هناك، أتمنى لكُنّ وقتًا ممتعًا.

بينما كانت تتجول الطالبات في أرجاء القصر، لاحظن الشبه الكبير بين صورة الملكة إيزابيلا ولورين. سألت إحداهن لورين:

- هل تعرفين متى وجدتك أمك عند بابها؟
- نعم لقد جعلته يوم ميلادي 24 أبريل.

اندهشت الفتيات من ذلك فقالت الأخرى:

- إنه يوم حادث العائلة الملكية، إن لم أكن مخطئة، فإن أفراد عائلة الملكة إيزابيلا لم يموتوا جميعًا في الحادث، ربما تكون لورين هي الأميرة صوفيا، انظري لورين أنك تشبهين الملكة إيزابيلا كثيرًا.

كان ذلك أكبر مما يمكن أن يتحمله عقل لورين:

- مستحيل!! هذا كله من وحي خيالكن.

ردت الفتاة محاولة إقناع لورين:

- يوجد طريقة لإثبات ذلك، التاج السحري، يقال إن التاج يلمع فوق رأس الوريثة الحقيقية للعرش، لقد لمع فوق رأس الملكة إيزابيلا يوم تتويجها، وإن كان هذا صحيحًا، فإن ذلك يفسر معاملة ديلانسي السيئة لكِ.
- يكفي أيتها الفتيات هذا أسخف أمر سمعته في حياتي.

تابعت الفتيات جولتهن في القصر، بينما انشغل فكر لورين بقصة التاج السحري، فكرت لورين بطريقة لإيجاد التاج السحري قبل يوم التتويج؛ لتثبت أنها هي الوريثة الحقيقية للعرش وليست ديلانسي، إذا تسلمت ديلانسي الحكم فهذا يعني أنها ستدمر البلاد فهي خبيثة ومراوغة ولا تهمها

سوى مصلحتها، وهذا يشكل خطرًا على البلاد وعلى عامة الشعب.

***

في يوم التتويج.

بحضور مجموعة من الوزراء، وعمدة المدينة ومديرة المدرسة في طاقم التتويج، استعدت جميع الأميرات والمرافقات الملكيات للتخرج ولأن تحصل كل منهن على تاج حقيقي؛ لتكمل معه مشوار حياتها.

ترددت لورين كثيرًا قبل أن تقدّم نفسها إلى العمدة والمديرة:

- أنا بنفسي أطالب بالعرش لأنني الأميرة صوفيا ابنة الملكة إيزابيلا.

وسط دهشة الحضور احتجت ديلانسي؛ لكن المديرة والعمدة أخذوا طلبها على محمل الجد؛ لأنَّ هناك شبهًا واضحًا بين لورين والملكة إيزابيلا. والتاج الذي لمع فوق رأس لورين هو خير برهان أنها فعلًا الأميرة صوفيا.

***

بعد التحقيق في الأمر اعترفت السيدة ديفن والدة ديلانسي أنها دبرت ذلك الحادث الذي قضت فيه الملكة إيزابيلا وعائلتها؛ لتكون ابنتها ديلانسي هي المرشحة الوحيدة للعرش، وكان مصيرها في سجن القصر.

وأصبحت لورين أو الأميرة صوفيا ملكة البلاد وأحضرت أمها وأختها إيملي ليعشن معا في القصر. وكان القصر أفضل من أي رسمة رسمتها إيملي ذات يوم، وأفضل من أي حلم حلمنَ به يومًا ما.

الحكاية السابعة عشرة

أبو زيد الهلالي [1]

ميا الصواعي [2]

وحده الصياد الماهر منا يمكنه الإمساك بأبي زيد الهلالي، تلك الحشرة الطائرة المغطاة باللون الأسود مع ألوان صيفية مبهجة تغرينا للحاق بها بين الياسمين والشجيرات التي تنتشر في مزارع النخيل، أقدامنا الصغيرة تنزلق بين السواقي التي يندفع عبرها الماء، نتخطى بعض السدود المعدة من الأقمشة والحصى، الفاصلة بين ساقية وأخرى.

ترتفع بعض السدود وتبدو مغطاة بالطين الزلق، ومن الذي كان يستطيع امتطاءها ليصل إلى الضفة الأخرى؛ ليقترب بحذر من حشرته المنشودة وفي لحظة مبشرة بالفوز يكون أبو زيد الهلالي بين أصابعه، تتهلل ملامحه فرحًا وتتعالى أصواتنا لنلتف حوله وهو يحاول ربط خيط صغير بأحد أطراف الحشرة المسكينة التي تبذل جهدها في المقاومة للإفلات.

(1) حكاية شفهية مستلهمة من الموروث الشعبي العماني.

(2) كاتبة عمانية.

بينما يتصايح بقية الأطفال في دهشة، مطالبين صيادنا بالتحقق من أن الخيط قد ربط جيدًا؛ ليبدأ السباق بينه وبين صياد آخر في الفريق الثاني.

كان أزيز الأجنحة يحملني إلى الأسطورة، أكاد أسمع صيحات أبي زيد وهو يخترق صفوف الأعداء شاهرًا سيفه البتار؛ لتبدأ لي معه حكاية أخرى.

(1)

تلمع النجوم في ليل الصيف، تبدو كأنها ترهف السمع معي إلى حكاية أبي زيد، الفارس المقدام، دمث الأخلاق سخي السجايا، ينضوي أبناء القبيلة تحت جناحه وكذلك العابرون بحثًا عن الحياة. ذاع صيت أبي زيد وانتشر، فهو الذي تمتد يده للضعفاء والمحتاجين، وترددت حكايات صولاته وجولاته بين القبائل المجاورة، فكثر معجبوه وزاد مؤيدوه، إلا أن أحدًا منهم لم يفطن للوجه الآخر له.

تقول الحكاية إنَّ بطلنا المغوار لم يرضَ أن ينبت في الصحراء الممتدة من يشابهه في الخصال؛ فكان يقضي على أبناء أخته الذكور خشية من القول السائر «ثلثا الولد لخاله».

(2)

ترتعش بعد مخاض مضنٍ، «إنه ذكر بهيٌّ» هكذا قالت لها القابلة فرحة مستبشرة. تغلق فم القابلة وتستعطفها بقطعة حلي ثمينة، تطلب منها أن تنشر خبر ولادتها لأنثى، لم تعد تحتمل مرارة الفقد، ستحتفظ بهذا الولد وتربيه تربية

الأنثى بين بقية بناتها الصغيرات، هكذا هداها قلبها المفطور.

يكمل الفتى سنواته السبع وما زال يرفل بثياب أخواته البنات، خطواته تحتشد قوة، عيناه الثاقبتان مثل نسر صغير تشعان فطنة، قفزاته ردود أفعاله المباغتة، جميعها تشي بقدوم فارس يفوق خاله ويطفئ توهجه.

بين فوضى الرمال وتلك الملابس الساترة لحقيقته كان البطل الصغير تغريه النبال وصناعة الأقواس، يحاول جاهدًا صناعة قوس وبريَ نبل، بينما تنهمك أخواته الثلاث في خياطة ملابس زاهية للدمى المصنوعة من سعف النخيل وبعض خيوط الصوف.

(3)

يراقبه أبو زيد بين حشود التعليقات واندهاش المارين، تكبر الحقيقة وتتصاعد الشكوك في صدره؛ ليقرر أن يصحبهم في رحلة صيد كما اعتاد أن يفعل، هناك وبفطنته ودهائه يستطيع أن يميزه، فقد يكون ذلك البدر الذي رآه في منامه قبل مولده وهو يرتفع في السماء متوهجًا باعثًا نوره الوضاء إلى الأرض.

وقف متخشبًا من الفكرة التي راودته، حاول أن يطردها وهو يتبع الفتى بنظراته الفاحصة، بينما يختفي راكضًا بين ممرات المكان وتعرجات الطرق.

تقف عاجزة عن الرد، شعور غريب يطوقها سرعان ما يحيط برقبتها مثل حبل سميك: كيف تتركه بين يدي خاله؟ تحاول أن تخرج كلمات الرفض؛ لكنها تختنق بلغتها، بالكاد استطاعت أن تحرك رأسها، وهي تلقي نظرة على ابنها الذي يزداد جذلًا بقرار الرحلة.. هل يمكننا الذهاب يا أمي؟

ابتسمت وبدت كريشة تتهادى وتطوف أو كقطعة من الرماد، واستدارت متماسكة وقبل أن تجيب كان أبو زيد يداعبهم ضاحكًا: «غدًا في الصباح الباكر سأكون هنا؛ لأخذكم، ستكون رحلة صيد مدهشة».

(4)

تتموج الرمال وتنتشر، بينما ضوء الشمس وهو يعلن حضوره فوق غابات الشجر يرسم نصف دوائر تدور في نفس المكان، يختلط الشعاع بوجوه الأطفال الجذلة المتنقلة بين الظلال. يبدو أبو زيد مفعمًا باللطف ومثقلًا بزنازين الحقيقة المخفية، والفتى يدور حول شجيرات الغاف والنخيل المنتشر يشدُّ بيديه قطعة خشب يعيد تشكيلها، يلفها بخيط (ليف) ويردد بصوت طفولي عذب تهويدة[1] سمعها تنساب من فم أمه: «ويا علي ركاب الخيل والخيلة خيلة أبو زيد».

ينهض أبو زيد والكلمات تملأ فمه، لكنه ينجح في ابتلاعها رغم مرارتها، يتأمل انحدار الشمس مكللة بالاحمرار، لا يعلم كيف مر الوقت دون أن يعبأ بحيرته؟

صوت الصغيرات يعيده إلى نفسه، يطلب منهن الاستعداد للعودة.

كان الفتى نزاعًا ليكون في المقدمة، يقفز بين الظلال كأضواء النجم، يثبت لخاله أنه النجم لا شيء آخر.

(1) أغنية تغنيها في العادة الأمهات لأطفالهن عند النوم.

(5)

يصل الجميع إلى منزل أخته، وقد بدأ الليل يسدل ستاره رويدًا رويدًا على القرية، والقناديل أُضيئت وعُلّقت. يجدها أمام باب المنزل تنتظر، والخوف يخترق عقلها كحد السيف، تتبين وجه أخيها؛ لكنها تفطن جيدًا أن ثمة حقيقة على وشك أن تشي بها بعض الكلمات المبعثرة بينهما.

كان يقف أمامها محاولًا سحب نفس عميق؛ ليبدأ الحديث بينما الصغيرات يتعلقن بأكمامها فرحات، تبدو أشبه بتمثال ينتظر فأسًا يهوي به.

تصل كلماته إلى سمعها مكتظة بالكثير من الشعور الذي تدركه تمامًا:

- أخبريني الحقيقة.

تجرعت مزيدًا من الهواء وأصبحت مستعدة للإجابة:

- نعم إنه ابني، لا تعلم من أين أتت بهذا الكم من الشجاعة؟ إلا أنها لن تعرف كيف حدث ذلك؟ لكن تلك هي الحقيقة دون أدنى شك.

استدار عائدًا دون أن ينبس ببنت شفة، انهارت تقبل الصغار وتهمس لابنها علي في مشهد يعبق برائحة الحب وأعجوبة النجاة.

(6)

في عتمة الليل كان يتوسد ذراعه، يحاول البحث عن ضوء نجم، يمدُّ يده لوجه أمه، إنه في السماء يلاحق بحبٍّ ملامحها الحنون، يكاد يتلمس ضحكات أخواته الثلاث، إلا أن يد خاله تهزُّ جسده فجأة.

- علي.. علي، عليك النهوض للبحث عن طعام للرجال الذين معي في القافلة.
- الصحراء قاحلة تمامًا حتى من ضوء.
- كيف لشاب مثلك أن يقول ذلك؟

يشعر بغضب خاله، يتبينه بين كلماته رغم الظلمة الحالكة التي تلف المكان، وقبل أن يكمل يقف وهو يسوّي ملابسه بهدوء خوفًا من إيقاظ الرجال، فيهمس لخاله ويذهب.

لا شك أن أبا زيد كان يريد أن يوقع به، لم يكن له دافع سوى التخلص منه أو إظهار عجزه أمام الرجال في رحلة طويلة، يقطعون فيها صحراء ممتدة تطفح بقصص الجنيات اللاتي يصطدن الرجال الهائمين، ومن يظهر الخوف منهن فهذا يعني نهايته. أما من يحسن الحيلة ويظهر القوة، فقد نال ما يريد.

(7)

قبيل الفجر يتهادى خيال علي بين الرمال، يتقدم بخطوات ثابتة رغم شدة الإنهاك حاملًا الطعام، فيقف أبو زيد بقامته الفارعة متباهيًا بين الرجال: «هذا هو ابن أختي قد عاد بالطعام كما أمرته».

مضى علي إلى راحلته متيقنًا أن الطريق إلى قلب خاله أشدُّ وعورة من طريق جبلي؛ لكنَّ أمه كانت قد علمته أن الحياة تدبُّ في طرقات الحب والرحمة.

(8)

عانت القافلة الكثير من المصاعب؛ لكنَّ عليًّا كان في المقدمة كغيمة محملة بالمطر؛ بل إنه هو الذي أنقذ الطفلة من يد الجنيّة ذات الرؤوس السبعة التي سدّت مجرى فلج إحدى القرى، إذ كان القربان طفلة ترسل كلَّ شهر، مقابل أن يغاث الناس بالماء، قطع علي رؤوس الجنية الستة وأبقى رًاسا واحدًا؛ حتى تموت، ثم قفز عاليًا؛ ليطبع بيديه المضمخة دمها على جدار قصر شيخ القبيلة.

يأتي الصباح فيجد أهل القرية الماء يسيل رقراقًا عذبًا بين مزارعهم التي أصابها الجفاف، فيطلبون من أصحاب القافلة معرفة الشجاع الذي فعلها ليقول لهم أبو زيد إنه الفاعل، ويطلب من علي الاختباء بين الأمتعة، لكنَّ أبا زيد لم يستطع أن يصل إلى الكف المطبوعة بالدماء على جدار القصر؛ ليكتشف الجميع أنَّ بطلهم شاب في مقتبل العمر فاق الجميع خَلقًا وخُلقًا، فيزداد حنق أبي زيد وغضبه.

(9)

تودع القافلة القرية بعد أن أغدقهم شيخها بجزيل العطاء.

بقي قلب علي معلقًا بعينيها، لقد رآها هناك في تلك القرية تتبعه بنظراتها التي اخترقت قلبه مثل سهم. نظر إليها مشدوهًا؛ كأنها الشيء غير المألوف في حياته كلها. وكأن الفصول الأربعة اجتمعت في عينيها وذاب الحزن والفرح في لونهما.

تبعها حينها واستحضر جرأة المحارب؛ ليبدأ معها حديثًا مقتضبًا، جعله

يدرك أنهما سيلتقيان. دسَّ بين أصابع يديها خيطًا أسود، شكَّ به بعض الخرز الملون، واستدارت خجلة، بينما ظل متمسمرًا على طرف الطريق؛ ليحتفظ بآخر ذكرى منها.

(10)

سارت القافلة وعلي يحمل وجه «روضة»، وابتسامة واعترافًا لم يستطع النطق به، بينما حمل خاله رائحة الهزيمة، وشعورًا لا يمكن سبر أغواره، شعورًا لم يستطع إيقافه أو كبح جماحه، وقد بدا ظاهرًا في صمته.

في طريق العودة قرر أبو زيد أن يعرج على قرية التل؛ ليقضي مآرب وشؤون له وللقبيلة. أقامت القافلة ثلاث ليال، وفي الليلة الرابعة تفاجأ سكان القرية بهجوم من مجموعة مسلحة غايتها النهب والسلب.

حين بدأت المعركة كان أبو زيد في مقدمة المدافعين، وعليٌّ كالليث الهصور يتحرك عن يمينه تارة ويساره تارة أخرى، يردُّ ضربة ويرسل أخرى.

كانت المعركة تنبئ بانهزام اللصوص وتقهقرهم. وإذ بسهم طائش يشق المسافات، كان مطلقه يستهدف به أبا زيد، في لحظة فاصلة تحول عليّ درعًا يصدُّ الألم عن خاله؛ ليستقرَّ السهم دون رحمة في كتفه؛ ليخترقها ممزقًا ما حاول إيقافه من جسده، ويقع مضرجًا بدمائه.

(11)

كم كان الحبُّ مصدر قوة وضعف! وعليٌّ مثل طائر مكسور الجناح يتلوى ألمًا فوق راحلته، بعد أن رفض خاله تركه في قرية التل للعلاج، رغم محاولة الجميع ثنيه عن رأيه الذي سينهي حياة علي بلا شك؛ لكنها كانت الفرصة المواتية للنصر، كيف يفلتها من يديه؟!

في الصحراء الشاسعة لن يكون هناك فرصة لعلي سوى الموت، سيرتخي جسده، ويتخلص أبو زيد من ذلك الحمل الذي يسرق شعاعه، لقد أهداه القدر فرصة لم يكن يحلم بها.

(12)

يشمُّ علي نسائم شوق أمه، يبحث عن وجهها المضيء بين النجوم، يمد يده باعثًا تأوهًا لا يكاد يُسمع، تمنّى في لحظة إغفاءة أن تكون بجانبه الآن لتدثره بروحها وتلملم جراحاته. كان يود لو يتكوم بصدرها كما كان يفعل؛ لينساب صوتها كسيلٍ من الأمان والحب في تهويدة حفظها عن ظهر قلب: «يا علي ركّاب الخيلِ»، طيوف أخواته الثلاث تباغته ثم تتلاشى كفقاعات في الهواء.

«روضة» ينطق اسمها وهو يعلم أنه يشارف على الموت، عيناه المشعتان بالحب قطعتا وعدًا لها بالعودة؛ لكنهما الآن ينسلان، يبذلان جهدًا لينقلا آخر ملامحها المدهشة؛ لكن الصورة تهتز، وكأنها قد أصابها التشويش، ثم لا شيء سوى مساحات من البياض.

(13)

كان الملاح يلفُّ القبائل؛ ليحمل الأخبار والرسائل، وحين لمحته روضة هرولت جزعة؛ ليخرج صوتها مرتجفًا هامسًا للملاح: خبرك يا ملاح؟

رأى كثافة الشعور واضطرابه في عينيها وأدرك ما ترمي إليه، حاول تفاديها؛ لكنها رددت بصوت واهن: «خبرك يا ملاح؟».

أجابها مترددًا: «علي مات، وسيفه شاهد على قبره».

تركض روضة عبر الصحراء باحثة عن قبر علي، وحين تراه ترمي بنفسها عليه ليخترق السيف جسدها المضنى، وتحلق روحها إلى الخلود.

وبعدها بأشهر ينبت مكان القبر شجرتان وارفتان متعانقتان تنشران الظلَّ والجمال.

(14)

أما أمه وأخواته فلم يصدقن كذبة أبي زيد بأن عليًّا مات في المعركة مباشرة، كان عليٌّ قد كتب قصته على لوح في راحلته قبل أن تفيض روحه، فأصابهن حزن عميق وبكاء دائم، حتى تحولن حمامات بيض ترفرف في الفضاء؛ لتحطَّ على شجرتين ملتفتين في وسط الصحراء الممتدة تحدها زرقة السماء.

الحكاية الثامنة عشرة

أنا خيرٌ منه [1]

وفاء الفارسي [2]

(1)

- أنا خيرٌ منه.. أنا خيرٌ منه.
- تكاد نارك تشتعل بك، وتحرق بعضها بعضًا، وأنت تصرخ غيظًا أنا خيرٌ منه، أنا خيرٌ منه.
- ناري تشتعل، وترابه ينطفئ، وناري سبقت حمأه المسنون، بدأ خيري قبله، وهو يفسد ويسفك الدماء، أنا خيرٌ منه، فلماذا هو وليس أنا؟
- أنت تستكبر؛ فتحقد، وترفض الطاعة.
- بل جريء عبر عن رفضه بوضوح، لأغوينهم، لأغوينهم؛ كلما رأيت عيني آدم ازداد غيظي وشري، عيناه البريئتان بهما يزداد جحيمي، وذاتي المنبوذة من بين أضلعي، ثم إن الله لا يحتاج لخليفة.
- ولا يحتاجك.

---

(1) حكاية مستوحاة من قصة إبليس وآدم.

(2) كاتبة عمانية.

فنظر إبليس إليها وعيناه تقدحان شررًا، وقال وهو يتميز غيظًا:

ولا يحتاج ملك الموت ولا جبريل ولا...

- الملك لله وحده؛ ولكنه شاء أن يمنح جزءًا من ملكه لمخلوقات اختارت حمل أمانته، ومنحها الخلْق بنوع آخر، فله مطلق الحرية أن يمنح الإنسان الحرية التي يريد ويسخّر له ما يريد.
- لا، أنا سأتولاه ببراءته وبقلة عزمه، أراه ولا يراني. وسأُخرجه من الجنة التي لا يجوع فيها ولا يعرى ولا يظمأ فيها ولا يضحى.

قهقه إبليس بصوت عال وأضاف: الجنة التي يأكل فيها رغدًا حيث شاء، ستسبق المشيئة فيها رغد العيش، ليشق ويبتئس، فهو خارج من الرضا إلى السخط؛ لذلك سأريه ما خفي والتبس عليه فهمه، سأدله على أكبر رغباته، الخلود، قبل عزمه وقبل شريعة ربي.

(2)

- أين قوم آدم ليضلوا؟ أينكم مني؟ أين؟

سأعدُّ خطتي وجحيمي، وليس هذا فقط سأطعن في نسل بني آدم بزواج محرم... وههههههه (يقهقه بصوت عالٍ): وستقوده الظنون إلى شجرة محرمة، إنه أمر أبعد ما يكون عن أكل شجرة محرمة، يا لسذاجته ستنطلي عليه أكاذيب وافتراءات أعدائه.

نعم! إن البراءة ذنب عظيم، عندما تجذب كل ما تودُّ فيه وتطمح إليه. لن تهنأ يا آدم، عليّ أن أفسد الأمر وأصعّبه عليك، ثم يفسد شيئا فشيئا.

أنا أعلم يقينًا حاجة آدم للخلود، فكثيرًا ما تحدثه نفسه بذلك، وكم وكم.. سيُفني نفسه لأجله. (هههههه) وكُثرٌ من بنيه سينسون أن يعيشوا من أجل الخلود، واحسرتك يا آدم واحسرتك. تنسى أن الله يُخلّدك في الآخرة، وأن الموت مرحلة انتقال من دار إلى دار، لكنك تؤثر الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى.

(3)

- أنت كائن مميز يا آدم، مختلف، متجرد من النواقص، فضّلك الله وسخّر لك السماء والأرض وما بينهما. لا يمكن أن يخبو ذكري، مثلي يُخلّد أبد الدهر.. لكن كيف؟

ابتسم إبليس وظهر كالحكيم المتيقن العارف، عيناه حادتان مشتعلتان، لم ينتبه آدم ولم يعرف عدوه.

- هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟

تنبه آدم بعينيه اللامعتين الصافيتين كجدول صغير إلى حديث الخلود؛ آفة آدم المستديمة التي تشغله وتناوش قلبه، وستظل كذلك سنين وسنين وأجيالًا وأجيالًا.

انصاع آدم المسكين لكلام إبليس الحكيم فأخذهما، وقاسمهما، ولاءم بينهما بالتمثيل والتجريب؛ ليفهم عقل آدم ذلك.

كان إبليس يبتسم ابتسامة العارف الخبيث؛ ليدخل من الباب الخلفي للخطيئة المحرمة على آدم الذي اجتباه الله وجعله خليفة له في الأرض.

ولـذّ لآدم فعـل الخلـود.. وتراقصـت الشـياطين تصـفق وتثيـر منابـت اللـذة والبقاء التي لم يعرف طريقها آدم مثلما لم يعرف الكثير والكثير مما سُـخر لـه. تلك آية الخلد التي أوقعته لذتها في الفخ.

ضحك إبليس وقهقه خصوصًا عندما رأى ثمرة الخطيئة «ميرا متعايا»[1].

وسمعته كل الملائكة يقهقه وارتجت لقهقهاته الأزمنة.

تلك اللذة مُزجت بالـذنب، وذاق آدم وزوجه خطيئتهما؛ فأخـذا يخصـفان عليهما من ورق الجنة.

وإبليس يضـحك ويقهقـه: «لأغـوينهم، لأغـوينهم مـن حيـث لا يحتسـبون ولأملأن الأرض بغضب الرب. هو الذي سجدت له الملائكة وسُخر لـه مـا في السماوات والأرض. وأنا؟ أنا؟».

(4)

- إن رب العالمين لم يجبرك على السجود؟ وهو قادر.
- لن أقبل.
- جامل. إن ربك يأمرك، لكنك فسقت عن أمر ربك.
- لن أفعل.

ثم ابتسم إبليس بمكر، وقال:

- أنا أؤمن بالله وهم سيكفرون به..

(1) التسمية التي وردت عند السومريين.

أنا خيرٌ منه، هو من سيجامل ويفسد، ويقتل أخاه أيضًا وليس أنا.

أنا وقبيلي سنلعب لعبتنا إلى يوم الدين، نحن خارج متناول قدرات الإنسان على معرفة أسرارنا، والتحكم فينا. نحن نمثل جزءًا من الكون بمفاهيمه. فكيف نسجد له؟ (بغضب) حتى إن العالين، وصفوه بالإفساد؛ لكن ربي علمه الأسماء، فتفوق.

- الله تعالى أراد فسجدت الملائكة؟
- إلّا أنا.. خرجتُ من الذل.
- أنت تراه ذلًّا!
- اسكتي يا امرأة وإلا أهلكتك مثلما أُهلكهم. إلا أنا (بكبرياء)، واشتدت ناره حتى تكاد تلامس عنان السماء. إلا أنا، سأظل مجهولًا عنه مهما اتسع علمه، وبعيدًا عن سيطرته؛ بل أنا من سيلعب لعبته، وسأتفوق على ذاك المتذاكي الذي سيحمل كل صفاتي.
- إنه يحمل صفات من الله وأسمائه فالله السميع وهو سميع، والله البصير وهو بصير و...
- هههه.. (ضحك إبليس مواصلًا كلامه): بل صفاتي وانظري إلى ابنَيْ آدم.. يذكرني المقتول بآدم، بالنظرة البريئة والقلب السليم ذي الفطرة التي فطرهم الله عليها...

(5)

- لمَ قُبل قربانه وليس قرباني؟ لمَ؟ لمَ هو الأفضل وليس أنا؟

كانت الحرقة تعصر قلبه، والشيطان يعزز إحساسه بالظلم، دون أن يرى الحكمة من ذلك وهو يردد: «ظُلمت! ظُلمت! قرباني الذي قدمته وتعبي، وشقائي، رُفض».

ثم ركض إلى أخيه يستشيط غضبًا وقهرًا. وأعلنها: «لأقتلنك».

- إنما يتقبل الله من المتقين.

- أنا لست تقيًّا؟ هل يحكم على قلبي؟ كم هو متمرد مغرور.

يغمض عينيه بوجع ويهمس لنفسه وهو يئن: «يشتدُّ عليّ الظلم، أشعرُ بغصة، وقلبي يحترقُ».. ثم يصرخ بكل قوته: «لأقتلنك».

- لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني، ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك؛ أني أخاف الله رب العالمين.

رده التقي زادك غيظًا وحنقًا، كشف نفسك الضالة، اغضبْ. اغضبْ. اغضبْ.

فركض إليه بحجر مدبب، وهجم على رأسه كحيوان جارح يضربُ ويضربُ ويضربُ..

أنفاسه تتلاحق وهو يردد: «أنا خيرٌ منك، أنا خيرٌ منك، أنا خيرٌ منك»..

وعندما أنهكه التعب سقط، وإلى جانبه أخوه صريعًا مضرجًا بالدماء.

أفزعه المشهد، واستبدت حيرتُه، ما الذي سيفعله الآن؟

انتفض إبليس وهو يرى الغراب أمام القاتل، يعلمه كيف يواري سوءة أخيه الذي قتله، ثم ضحك ضحكة ماكرة وردد مع نفسه قائلًا: «حان الآن دوري لأقتل نفسَه ندمًا؛ ليحزن حزنا يائسا، ويفقد صلة ربه، وصلة قلبه».

الحكاية التاسعة عشرة

الطبع [1]

خميس قلم [2]

روى الأسلاف للأخلاف أنَّ أسدًا عجوزًا غادر سهوب أمجاده بعد أن خسر سطوته أمام ليث مغوار؛ فطردته جماعته.

حلّ المنبوذ على جبلٍ مقطوعٍ قرب المزارع؛ ليكون مثواه الأخير.

وما كان له من قوت سوى خشاش الأرض من حشراتٍ وهوام يسدّ بها ما لا يمكن سدّه إلى أن يزوره القدر المحتوم.

كل صباح، يستيقظ جافلًا بسبب أصواتٍ لم يعتد سماعها؛ فما أدراه بصياح أبي اليقظان، أو نهيق أبي صابر، أو خوار أبي العجلان؟!

أكثر ما كان يستفزّه خوار الثيران؛ لأنها لا تنفك تصمت طوال الليل والنهار؛ لذلك في أحد الأيام سيطرت على نفسه الضجرة والوجلة والجائعة فكرة التحدي؛ سيرد على الصوت بالصوت؛ ليثبت أحقيته في المكان وليسترجع شيئًا من كرامته المسفوحة؛ فقام يزأر.

---

(1) حكاية مستلهمة من حكايات كليلة ودمنة.

(2) كاتب عماني.

لـم يُكمـل ليلتـه حتـى حاصـره الفلاحـون ومـن اتصـلوا بهـم. رصاصـة مخدرة جعلته يُفيق في قفصٍ داخل حظيرة بهـا ديكـة وحمـار وثلاثـة ثيـران كل واحدٍ منها بلون: الأبيض والأسود والأحمر.

الحكاية العشرون

موت عوض [1]

أحمد الناصري [2]

وحيدًا في سيارته يجوب الطرقات الضئيلة المنسكبة في ذاكرته حيث لا حاجة للاهتمام بها لقلة عدد السيارات، وهو من المحظوظين لاقتناء واحدة.

ووالده من بين القلة اللذين منحهم السلطان التصريح لامتلاك سيارة.

فجأة ارتجت سيارته بعنف مدوٍ، قد يكون أحد ألغام الطريق التي لم يتحاشاها، فهو يطلق تلك التسمية على الحفر المنتشرة بسخاء في شوارع المدينة الشائخة.

أوقف السيارة بعد انحرافها خارج الطريق إذ لمح وجه رجل يقف على الرصيف، كان من الاستحالة أن يتصور وجوده في أي مكان، بعدما وصل إليه نعيه قبل خمسة أشهر مضت.

---

(1) مستوحاة من رواية «سنة موت ريكاردوريس» لجوزيه ساراماغو: «الطبيب المغترب الذي يعود لموطنه بعد نعي صديقه الشاعر ثم يتفاجأ بإمكانية مشاهدته والتحدث إليه رغم موته».

(2) كاتب عماني.

أخذ نفسًا مرتجفًا بينما كان الرجل يقترب منه، لا حاجة لأن نقول إنه استأذنه بالركوب معه أو فتح باب السيارة دون استئذان، فقد جلس ذلك الرجل بدون تلك المقدمات على المقعد المجاور للطبيب.

أخذنا المشهد المباغت دون أن نُعرِّف ببطل قصتنا، اسمه عوض ومهنته طبيب، ومن النوادر جدًّا، أن نجد طبيبًا بالمعنى المتعارف عليه مؤطرًا بشهادة علمية في تلك الناحية وذاك الزمان إذا طرحنا ممارسي الطب الشعبي خارج المقارنة.

- نعم أنا لا غيري.. لا تستغرب.
- ولكن!!
- أنت من يستطيع رؤيتي فقط.
- امتياز لا أُحسد عليه.
- أنتظر عبورك منذ زمن لا أعرف له مقدار؛ إذ يتجرد الزمن (هنا) من جميع مسمياته.
- يبدو أيضًا أن (هناك) الذي تقصده بلا أسوار أيضًا لتهرب منه بهذه السهولة.
- يهمني أن تنظر أمامك وأنت تقود، فرغم كل شيء لا يستبعد أن أموت مجددًا في سيارة كهذه!
- الشتاءُ ثقيل هذا العام وأنت بملابس قائضة!
- لا يهم فقد تخففت من قيود سابقة كثيرة.

- ما الذي أنت عازم بشأنه؟ حينما وقعت عينه على جريدة يطفح منها عنوان عريض «السلطان يأمر بإنصاف العامل» هل عدت لتعمل أم لتعيش؟
- أفكر في افتتاح عيادة خاصة هنا على الساحل.
- ليس من اليسير أن تجد مكانًا مناسبًا في هذا الحد الفاصل من الزمن ، وأولًا عليك أن تتخذ لقب عوض توماس لتقنع الناس بأنك طبيب حديث.

يضحك الطبيب...

- لا بأس في ذلك.. ولكنك ميت.. (يستدرك).
- نعم أنا كذلك.
- والآن أنت (مغصوب).
- ما يهم أنا بجانبك الآن وأحادثك.
- كيف هي حياتك الخالدة؟
- أقل شقاء مما كنت عليه!

بعد دراستي في الخارج أيقنت أني قادم إلى العدم، يا رجل الناس هنا مجرد أشباح تتنفس الحياة.

- نعم هذا ما تبدو عليه، إذ السجنة تعكس حياة مختلفةً كنت تحياها. ولكن أخبرني كيف مت؟
- مجرد مغص حاد، ووصفات علاج أودت بي إلى الموت، عرفت في ما بعد أن لحالي اسمًا هو الزائدة الدودية.

- وماذا عن خبر أنك مت مسحورًا؟
- وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.

يضحك الاثنان..

- دكتور عوض هل تعلم أنك لن ترى شمس الغد؟

... صوت الفرامل أفزع الليل...

- أظنك مدركًا أن ما تفوهت به لا يمكن إسناده للممازحة!
- نعم.. فأنت ومنذ المغرب دخلت في رحلة الموت.
- لذا قدمتَ لاستقبالي!
- نعم.
- ولكن..
- هو كذلك لا فائدة.

صوت الرصاصة وصل متأخرًا بعد اختراقها الجمجمة من الخلف، عبور البوابة بعد موعد الإغلاق الليلي للمدينة هذا ثمنه.

الحكاية الحادية والعشرون

1003م [1]

وليد النبهاني [2]

اختار إسماعيل بن حمّاد وقتًا فريدًا وعجيبًا، وهو يدخل سور الجامع حاملًا بابين من الخشب، دون أن يحس به أحد، وربما شاهده أحدهم وهو يظنه نجّارًا جاء ليصلح أبواب الجامع.

صعد درجة أولى من درجات المئذنة، فقال: «هذه همزة».

وصعد الثانية، فقال: «هذه باء».

وفي الدرجة الأخيرة خاب مجازه، فما كان قد وصل إليه ليس حرف الياء؛ بل حرف الضاد.

في أعلى المئذنة لم يضع إسماعيل بن حمّاد يديه على أذنيه ليؤذن، بل صلبهما وهو يصيح بأعلى صوته: « أريد أن أطير».

ضحك الناس منه، كما لم يضحك أهل الرصافة من ابن فرناس، إذ كان قد

---

(1) حكاية مستلهمة من حادثة موت إسماعيل بن حماد الجوهري صاحب معجم الصحاح.

(2) كاتب عماني.

ربط يديه ببابين من خشب. فتجرع المرارة حينها وهو يتذكر أن آخر قطعة من كتابه الفريد أجازها الشيخ أبو منصور تنتهي بالضاد لا بالياء.

لم يجتمع خلق كثيرٌ في جامع نيسابور، كما اجتمعوا تلك المرة، ولعلهم لم يعرفوا أن هذا الطائر الخشبي قد كتب كتابًا بطريقة جديدة لم يجز منه الشيخ أبو منصور سوى نصفه، فاختار مؤلفه السوداوي طريقةً جديدة للسفر إلى عالم الغيب، وهو الذي كان مولعًا بالسفر والترحال في عالم الشهادة.

أما الطيور فقد عبرت كثيرًا فوق جامع نيسابور، وفوق قصر الرصافة، وهي لا تعرف الضحك على البشر الذين يحاولون محاكاتها في الطيران، بل تجفل ظنًّا منها أنهم نوعٌ جديدٌ من الصيّادين.

فهرس المحتويات

المقدمة..... 5

قصر الملح / **سالمة المرهوبي**..... 7
أمنيات بريئة / **هدى النجار** 21
الأميرة والعقرب / **حسني النجار** 24
غافة الوفاء / **أحمد المقبالي** 26
خود / **أحمد المقبالي** 30
مدرسة الصبر / **محمد الزعابي** 35
جرة الوفاء / **محمد الزعابي** 40
مَنْ أحقّ بصحبتي؟ / **محمد الزعابي** 44
ليلى والثعبان / **سعيد الزعابي**..... 47
نفايات الشعب / **ليلى عبدالله** 53
وريثة العرش / **ليلى عبدالله** 57
روح جبر الحذاء / **وضحى المسروري** 63
«السَّوْء» / **محمود علي** 70
إمّا وإمّا وإمّا / **هالة حمد الحضرمي**..... 73
المسمار / **سعاد علي العريمي** 78
مدرسة الأميرات / **يسرى سعيد** 80

أبو زيد الهلالي / **ميا الصواعي**..... 86
أنا خيرٌ منه / **وفاء الفارسي**..... 96
الطبع / **خميس قلم**..... 102
موت عوض / **أحمد الناصري**..... 104
1003م / **وليد النبهاني** 108